روايات
مصرية للجيب

ملف المستقبل
سري جدا!!؟

٨٦

الإمبراطور

www.helmelarab.net

١ ـ مفقود فى الفضاء ..

امتدت النجوم بلا نهاية ، فى الفضاء الواسع الرحب ، وتألقت كمصابيح صغيرة ، فى سطح من المخمل الأسود الناعم ، تناثرت فيه الشموس والكواكب والأقمار ، وكل فى فلكه يسبح ، فى دقة ونظام ، ورتابة ، يحكمها وينظمها الخالق (عزّ وجلّ) ..

وفى ذلك العالم ، عالم الفضاء ، كان الصمت هو السيّد ..

صمت لهيب رهيب ، غلّف كل شىء ، بإذن الله (سبحانه وتعالى) ، الذى وضع قوانين الدنيا والآخرة ، وأمر الصمت ألاينتقل فى الفراغ ..

ووسط ذلك الصمت التام ، وعبر الفضاء السرمدى ، كانت سفينة الفضاء ، التى تحمل (نور) و(رمزى) ، تنطلق بلا هدى ..

ولم تكن هذه هى البداية ..

فالبداية حدثت منذ أيام قليلة ، عندما أعلنت (مشيرة) ، فى أوّل بث هولوجرافى عالمى ، عن مكعبات الكمبيوتر ، التى تحوى كل تاريخ وعلوم وفنون الأرض ، والتى يحتفظ بها (نور) ، بعد أن حطّم الغزاة كل شىء ..

ومع ذلك الإعلان ، بدأ الصراع ..

كل الدول أخذت تسعى ، للحصول على مصدر القوة الجديد ،

الذى سيعيد تنظيم الأمور والأحداث ، على سطح الأرض ، ويحدّد الدول العظمى ، فى العالم الجديد ..

وتدخلت الولايات المتحدة الأمريكية الصراع ، بكل ماتملك من قوة ، وأرسلت أقوى عملائها ، (كيرك) و(ساندرا) ، للقتال من أجل الحصول على سلاح القوة الجديد ، أو تدمير كل شىء ..

وبعد سلسلة من الصراعات المستمرة ، نجح (كيرك) و(ساندرا) فى الحصول على حقيبة المكعبات ، واستعدّا لتفجير (القاهرة الجديدة) ، بقنبلة ذرية محدودة ..

ولكن (محمود) نجح فى إحباط الخطة ، فانفجرت القنبلة داخل غلاف أسطوانى من الطاقة ، وسحقت (ساندرا) ، ودفعت حقيبة المكعبات ، داخل غلاف كروى آخر من الطاقة ، فى أعماق الفضاء ، فى شكل شمس فيروزية صغيرة ..

وبدأت مرحلة جديدة من الصراع ..

مرحلة السعى لاستعادة آخر أمل للأرض ..

الأمل الفيروزى ..

ولكن (كيرك) لم يلق مصرعه فى الانفجار ..

لقد نجا ، وهاجم (نور) ورفاقه ، وحصل منهم على إحداثيات موقع الشمس الفيروزية ، وكاد يقتلهم بقنبلة من الغاز السام ، لولا وصول (أكرم) فى الوقت المناسب ..

واشتبك (أكرم) مع (كيرك) ، فى قتال محدود ، انتهى بإصابة الاثنين ، ونقلهما إلى مستشفى الطوارئ ..

وهنا تدخَّل العميل الأمريكى الجديد (ميرفى) ..

وفى الوقت الذى استعدّ فيه (نور) و(رمزى) ، للسفر إلى الفضاء ، بوساطة سفينة الفضاء الخاصة بحرّاس القمر ، والتى هبط بها مجرمو القمر إلى الأرض ، كان (ميرفى) يحصل من (كيرك) على كل المعلومات اللازمة ، ثم يتخلّص منه بلا رحمة ..

وانطلقت السفينة إلى الفضاء ، وقد تسلّل إليها (ميرفى) ..

وكشف (أكرم) أمر (ميرفى) ، بعد خروجه من المستشفى ، أسرع يُبلغ (سلوى) و(نشوى) و(محمود) ، ولكن المجهود الذى بذله حطّم ماتبقى من قوته ، فسقط فى غيبوبة عميقة ، وساءت حالته فى شدة ..

وحدثت المواجهة ، بين (نور) و(رمزى) ، والعميل الأمريكى (ميرفى) .

وتحطّم جهاز توجيه السفينة ، ولكن (ميرفى) غادر السفينة كلها إلى القمر ، وترك (نور) و(رمزى) داخلها ، وهى تنطلق فى الفضاء اللانهائى ، نحو المجهول ..

والمصير المجهول (*) .

اندفع (محمود) داخل حجرة الفريق ، فى مبنى المخابرات العلمية المصرية ، وهو يقول فى انفعال ، وبصوت يلتهمه اللهاث التهامًا :

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزءين ، الأول والثانى .. (كنز الفضاء) و (الأمل الفيروزى) .. المغامرتين رقم ٨٤ و ٨٥

- لقد أوصلت آلة التصوير الهولوجرافى ، التى تركتها (مشيرة) فى مرصد (حلوان) ، بجهاز البث المغلق ، الخاص بنا ، ويمكننا الآن استقبال صورة سفينة الفضاء ، ومعرفة إحداثياتها واتجاهها .

أسرعت (نشوى) تشعل الراصد الخاص بالفرقة ، وتراجعت وقلبها يخفق فى قوة ، عندما نقلت إليها الشاشة صورة سفينة الفضاء ، التى تضم والدها و(رمزى) ، وهى تنطلق إلى جوار القمر ، فى طريقها إلى غياهب الفضاء ، ووضعت (سلوى) كفها على صدرها ، وكأنها تحاول منع قلبها من القفز خارج صدرها ، وهى تقول فى صوت مرتجف :

- إنها تبتعد عن القمر .

اتجه (محمود) إلى الكمبيوتر ، وضرب أزراره فى سرعة ، لترتسم على الشاشة عدة أرقام ، أشار إليها قائلاً :

- هذا هو المسار ، الذى تتخذه السفينة بصفة منتظمة ، والفلكى (جابر) يقول : إن انطلاقها - على هذا النحو - يؤكد أن أجهزة التوجيه فيها قد فسدت ، أو ..

بتر عبارته لحظة ، قبل أن ينخفض صوته ، ويضيف فى مرارة :

- أو أنه لم يعد هناك من يقودها .

شهقت (سلوى) فى هلع ، وراح جسدها كله ينتفض فى شدة ..

لقد وضعت هذا الاحتمال فى ذهنها ، منذ بداية الموقف .. منذ انقطع الاتصال ، بينها وبين (نور) ، بعد أن أشار هذا

الأخير إلى وجود القاتل فى السفينة ..

وضعت هذا الاحتمال فى ذهنها ، دون أن يتقبله قلبها ..

وها هوذا (محمود) يضرب قلبها بذكره ..

وفى صمت ، سالت من عينيها الدموع ، وارتجف قلبها الملتاع ، وهى تتطلع إلى الشاشة ، التى تنقل صور سفينة الفضاء ، وهى تبتعد فى أعماق الفضاء .

وتبتعد ..

* * *

قهقه (ميرفى) ضاحكًا ، فى ظفر وزهو وشراسة ، وهو يدير عينيه فيما حوله ، داخل مخزن الأسلحة الخاص ، فى سجن القمر ، وتحسس بكفيه مدفعًا ليزريًا ضخمًا ، وهو يقول ، فى لهجة أقرب إلى الجنون :

- يالك من داهية يا (ميرفى) !.. لقد نجحت فى خطتك العبقرية ، وخدعت الجميع ، لتصبح (فى النهاية) أقوى رجل فى العالم ..

قهقه ضاحكًا مرة أخرى ، قبل أن يتابع :

- وذلك النحيل الغبى سمح لى بالحصول على أعظم الأسلحة ، التى تبقت فى (أمريكا) كلها ، وهو يتصور أننى سأقاتل من أجل مليار دولار فحسب .. خدعته مساومتى ، وتصور أننى سأفعل ما أفعل ، فى سبيل هذا المبلغ وحده .. ياله من ساذج !!.. لقد لاحت لى الفرصة .. وهى فرصة نادرة ، لن يمكن تعويضها أبدًا .. فرصة السيطرة على العالم أجمع ، فهل أضيعها من أجل مليار دولار فحسب ..؟

سار بين الأسلحة العديدة ، وهو يلوّح بكفيه وذراعيه ، وكأنه يتحدّث إلى الأسلحة الجامدة الصامتة ، مستطردًا :

ـ لقد حصلت على مكعّبات الكمبيوتر ، وعلى آخر وأقوى أسلحة العالم ، التى يحتفظ بها الجميع هنا ، فى ذلك المخزن الاحتياطى الخاص ، على سجن القمر .. وهذا يعنى أننى قد أصبحت فعليًا أقوى قوة فى العالم كله ، وما دامت مرحلة إعادة تنظيم العالم ، وتحديد مراكز القوة ، لم تنته بعد ، فلا بأس من حسمها لصالحى ..

وتألّقت عيناه ، وهو يستطرد :

ـ لصالح الإمبراطورية الجديدة .. إمبراطورية (ميرفى) ..

وتفجّرت ضحكة تجلجل فى المكان ..

ضحكته المجنونة ..

والمخيفة ..

* * *

امتقع وجه (رمزى) ، عندما أدرك ذلك المصير الرهيب المحتوم ، الذى ينتظره مع (نور) ، بعد أن غادر (ميرفى) السفينة ، وتركها تنطلق فى غياهب الفضاء ، دون هدف أو مسار محدود ، وهتف (رمزى) فى ارتياع :

ـ لقد قضى علينا يا (نور) .. ربح ذلك الوغد المعركة .

هتف (نور) فى غضب :

ـ ليس بعد .. مازال هناك أمل واحد .

قالها واندفع مرة أخرى نحو حجرة معادلة الضغط ، وراقب مؤشرات استعادة الضغط داخلها ، بعد إغلاق بابها ، ولحقه

(رمزى) ، وهو يسأله فى توتر بالغ ، وانفعال جارف :

ـ أى أمل هذا ؟

أجابه (نور) ، وهو يضغط أزرار فتح باب الحجرة :

ـ مغادرة السفينة .

تراجع (رمزى) كالمصعوق ، وهو يهتف :

ـ أتسمّى هذا أملًا ؟

أجاب (نور) فى حزم :

ـ بالتأكيد .. بقاؤنا هنا داخل السفينة ، يعنى ضياعنا فى الفضاء إلى الأبد ، وهذا يعنى بالتالى مصرعنا حتمًا ، إن آجلًا أو عاجلًا ، أما لو غادرنا هذه السفينة ، وحاولنا الوصول إلى القمر ، كما وصل إليه ذلك الوغد الأمريكىّ ، فربما وجدنا هناك أملًا فى النجاة .

هتف (رمزى) ، و(نور) يندفع داخل الحجرة :

ـ وكيف يمكننا الهبوط على سطح القمر ، بفرض نجاحنا فى الوصول إليه ؟ لقد كان الأمريكى يستخدم حزام طيران خاص ، مكّنه من تخفيف سرعة هبوطه ، حتى لايرتطم بسطح الأرض كينزك ضال ، أما نحن فلسنا نملك سوى أحزمة توجيه بسيطة ، لن تساعدنا على هذا .

قال (نور) ، وهو يرتدى زيًا فضائيًا ، ويشير إلى الثانى :

ـ سنفكّر فى هذا فيما بعد ، أما الآن ، فلنغادر هذه السفينة ، قبل أن تضيع الفرصة لذلك .

أسرع (رمزى) يرتدى الزى الفضائى بدوره ، وهو يسأل فى توتر :

ـ ولكننا ابتعدنا بالفعل، عن أقرب نقطة للقمر، وحتى أحزمة التوجيه ، لن تسمح لنا ببلوغ تابعنا هذا .

أجابه (نور) ، وهو يحكم خوذته فوق رأسه :

ـ سنلجأ إلى خطة الطوارئ! .

سأله (رمزى) فى قلق :

ـ وما هى؟

أجابه فى حزم :

ـ لن ننتظر تعادل الضغط فى الحجرة ، مع انعدام الضغط النسبى ، فى الفضاء الخارجى .. سنفتح الباب على الفور .

ارتجف (رمزى) ، وهو يثبت خوذته بدوره ، هاتفًا :

ـ مستحيل يا (نور) !.. لو فتحت الباب على الفور ، سنندفع خارج الحجرة ، كما لو كنا قذيفتى مدفع ، و...

بتر عبارته بغتة ، وقد أدرك مايعنيه هذا ، فى حين ابتسم (نور) ، وهو يمسك ذراع فتح الحجرة ، قائلًا :

ـ وهذا ما أسعى إليه بالضبط يا صديقى .. سننطلق كقذيفتى مدفع نحو القمر ، وسيدّخر هذا كل طاقة أحزمة التوجيه ، لنستخدمها فى الهبوط على سطح القمر .

وازداد صوته عمقًا ، واختفت ابتسامته ، وسط ملامح الحزم والقلق ، التى انحفرت على وجهه ، وهو يستطرد :

ـ أو بمعنى أصح .. هذا ما أتمناه .

ثم رفع عينيه إلى (رمزى) ، وسأله فى حزم :

ـ أأنت مستعد؟

راجع (رمزى) أزرار زيه ، وحزام التوجيه ، وسرت فى جسده قشعريرة باردة ، وهو يجيب :

ـ نعم .. أنا مستعد تمامًا .

وهنا جذب (نور) ذراع الباب ، وانفتح باب حجرة معادلة الضغط دفعة واحدة ، قبل أن يتعادل الضغط داخلها ، مع الضغط الشديد الانخفاض خارجها ..

ولولا انعدام الصوت فى الفراغ ، لأطلق الباب فرقعة شديدة ، وهو يُفتح بغتة ..

وكما تنبأ (نور) تمامًا ، اندفع جسده وجسد (رمزى) ، بفعل اختلاف الضغط الشديد ، كما لو كانا قذيفة مدفع عملاق ..

وانطلق الجسدان نحو القمر ، دون أن يدرى صاحباهما ما إذا كانا سينجحان فى الهبوط على سطحه ، أم ..

أم يتحطمان فوقه .

* * *

وكما تنبأ (نور) تماماً ، اندفع جسده وجسد (رمزى) ، بفعل اختلاف الضغط الشديد ، كما لو كانا قذيفة مدفع عملاق ..

٢ ـ الأمل ..

«لا فائدة .. »

نطقتها (نشوى) فى لهجة تفيض بالألم والأسى والمرارة ، ثم انفجرت باكية ، وانهمرت دموعها فى غزارة ، فوق أزرار جهاز الكمبيوتر ، الذى ماتزال شاشته تحمل تلك المعادلات ، التى تؤكد استحالة نجاة (نور) و(رمزى) ، حتى لو كانا على قيد الحياة ، داخل السفينة ، وارتجفت (سلوى) فى هلع ولوعة ، قبل أن تنهمر دموعها بدورها ، وهى تردد :

ـ لا فائدة ؟!

شعر (محمود) بكل مايحمله الموقف من توتر ويأس ، فاندفع قائلاً :

ـ لايمكنك الجزم بهذا .

رفعت (نشوى) عينيها المبللتين بالدموع ، وأشارت إلى شاشة الكمبيوتر ، قائلة :

ـ كل الحسابات تؤكد هذا .

لوّح بذراعه ، قائلاً :

ـ ومنذ متى تخضع حياة (نور) للحسابات والأرقام ؟.. أنسيتما كيف نجا أكثر من مرة ، من مواقف أشد صعوبة ؟ لاتستسلما لليأس أبداً .. أنا واثق من أن (نور) قد وجد وسيلة ما للفرار ..

ثم اندفع نحو شاشة الراصد ، مستطردا :

ـ ها هى ذى السفينة تضيع ، فى غياهب الكون ، ولكن من يدرى ماذا حدث قبل هذا؟. أعنى فى تلك المرحلة ، التى مضت ، مابين ذهابى الى مرصد (حلوان) ، وعودتى إلى هنا .. من يدرى؟

ضغط زر إعادة المشاهدة ، وهو يتابع فى حماس :

ـ ربما فاتنا أهم جزء من الأحداث .

أعاد الشريط المسجل إلى بدايته ، ثم بدأ يتابعه مرة أخرى فى اهتمام ، وأذناه تلتقطان نحيب (نشوى) وشهقات (سلوى) ، ولم تمض بضع لحظات من المشاهدة ، حتى سمعته (سلوى) و(نشوى) يهتف :

ـ يا إلهى !.. كان ينبغى أن نتوقع هذا .

اندفعتا نحوه ، وهما يجففان دموعهما ، وهتفت (سلوى) :

ـ ماذا رأيت؟

أعاد مشاهدة اللحظات الماضية ، وتابعت (سلوى) و(نشوى) المشهد ، ثم غمغمت (نشوى) فى حيرة :

ـ ما الذى أثار انتباهك بالضبط؟

أشار (محمود) إلى نقطتين صغيرتين ، اندفعتا من جانب السفينة ، وانطلقتا نحو القمر ، فى حين تواصل السفينة انطلاقها إلى غياهب الفضاء ، وقال :

ـ هذان .. أراهن أنهما (نور) و(رمزى) .

اتسعت عينا (سلوى) فى دهشة ، فى حين تمتمت (نشوى) :

ـ أهذا معقول؟

أسرعت تعيد مشاهدة الفيلم مرة أخرى ، ثم أوقفت المشهد ، عند لحظة الاندفاع ، وقالت فى حماس :

ـ الكمبيوتر يمكنه تكبير هذا الجزء عشرات المرات .

وبضغطة من أصابعها ، على بعض الأزرار ، تكوّن مستطيل صغير ، حول صورة النقطتين ، ثم تضاعف حجم المستطيل فى سرعة ، مع الصورة داخله ، حتى امتلأت بها الشاشة ، وهتفت (سلوى) ، وقلبها يُخفق فى أمل :

ـ يا إلهى !.. يبدو أنهما هما بالفعل .

ضاعف القول من حماس (نشوى) ، فضغطت الأزرار مرة أخرى فى سرعة ، وتكوّن مستطيل آخر ، حول جسدى (نور) و(رمزى) ، ثم تعاظم ليملأ الشاشة ، ويضاعف من حجم الصورة عدة مرات ، وهنا تنهدت (سلوى) فى ارتياح ، وقالت :

ـ إنهما هما بالفعل .

وانحدرت دموعها تبلل وجهها مرة أخرى ، فى حين هتف (محمود) :

ـ إذن فقد غادر (نور) و(رمزى) السفينة ، قبل أن تتجه إلى مصيرها المحتوم ، وهذه السرعة ، التى غادرا بها السفينة ، توحى بأنهما اندفعا من حجرة معادلة الضغط ، قبل أن يتم تعادله ، وهذا يقذفها نحو القمر ، فى سرعة كبيرة .

قالت (نشوى) فى حنان ، وهى تضغط أزرار المشاهدة مرة أخرى :

- دعنا نتابع ماحدث لهما ، بعد اندفاعهما خارج السفينة

كانت تتوقع رؤية ماحدث ، ولكن الراصد راح يتابع السفينة ، وهى تغوص فى أعماق الكون ، متجاهلًا مسار (نور) و(رمزى) تمامًا ، فهتفت (نشوى) محنقة :

- ما الذى يفعله منظار المرصد اللعين؟

أجابها (محمود) فى أسف :

- يفعل ماتمت برمجته لأجله .. يتابع مسار السفينة ، التى تحوى كرة الطاقة .

هتفت (سلوى) :

- ولكن هذا مستحيل !.. لو أن (نور) قد غادر السفينة بإرادته ، فهو لن يغادرها حتمًا دون كرة الطاقة .

انعقد حاجباه ، وهو يكمل :

- ولو أن القاتل يحتفظ بها ، فهو لن يبقى داخل السفينة ، وهى تضيع فى الفضاء على هذا النحو .. وهذا يعنى أن الشخص الذى قتل (هاشم) ، وأفسد جهاز الاتصال فى المرصد ، قد عدل برنامج المنظار الفلكى أيضًا ، بحيث يتابع السفينة ، بدلًا من أن يتابع كرة الطاقة .

وازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يستطرد :

- ويعنى أيضًا أننا لن نعرف مصير (نور) و(رمزى) ، بعد خروجهما من السفينة ، وانطلاقهما نحو القمر .. لن نعرفه أبدًا ..

* * *

انتفخت أوداج (ميرفى) فى سعادة ، وهو يتطلع إلى حجرة

الاتصالات الضخمة ، التى تحوى أحدث وسائل الاتصال المعروفة ، فى عالم ماقبل الغزو ، وقال فى ارتياح :

- عظيم .. كل شىء جاهز ومعد إعدادًا جيدًا .. من حسن حظى أن دول العالم أجمع قد اهتمت بتجهيز سجن القمر هذا ، وكل شىء فيه يدار بأجهزة كمبيوتر فائقة ، تعمل بالطاقة الذرية ، ويمكنها مواصلة العمل دون انقطاع ، ودون الحاجة إلى تدخل بشرى ، لقرنين من الزمان على الأقل .. لن أعانى أية مشكلات ، بالنسبة للضغط والأكسجين ، والطعام ، وكل الأمور الحيوية الأخرى ، ومن هنا يمكننى مهاجمة كل بقعة على الأرض ، وتوجيه رسائلى إلى العالم كله ، فى نفس الوقت الذى لاتملك فيه الأرض كلها وسيلة واحدة لمحاربتى .

قهقه ضاحكًا فى ثقة وسعادة ، قبل أن يضيف :

- ما أسهل العمل ، فى ظل هذه الظروف !

ثم أخذ يعمل فى أجهزة الاتصال بضع دقائق ، أضيئت بعدها كل شاشات الرصد ، لتنقل إليه مايدور ، فى نصف عواصم العالم ، التى يواجهها القمر ، فى تلك اللحظة ، فابتسم فى سخرية ، وقال :

هذه الآلات الحديثة تتيح لى القدرة على السيطرة ، على شبكة البث الضخمة ، على كوكب الأرض ، وتمكننى من إرسال التحذير الأول إلى الأرض ، من مقر الامبراطورية الجديد .

وضغط أحد الأزرار ، مستطردًا ، وعيناه تبرقان بريقًا شديدًا :

- الآن .. الآن تعرف الأرض كلها ، من هو الإمبراطور الجديد ..

وبدأ رسالته الأولى ..

* * *

اندفع جسدا (نور) و(رمزى) من حجرة معادلة الضغط ، كقذيفتى مدفع عملاق ، وانطلقا نحو القمر فى سرعة كبيرة ، وراح سطح القمر يقترب منهما فى سرعة ، بنصفه المظلم البارد الكئيب ، وهتف (نور) بـ (رمزى) ، عبر جهاز اتصال خاص ، يصل بين خوذتيهما :

- استخدم حزام التوجيه يا (رمزى) .. حاول أن تخفف من سرعتك ، قبل أن نبلغ سطح القمر .

ضغط (رمزى) أزرار حزامه ، ووجه محركاته إلى سطح القمر ، فانخفضت سرعة اندفاعه تدريجيًا ، ورأى (نور) يفعل المثل ، ولكنه قال فى توتر شديد :

- مازالت سرعتنا أكبر مما ينبغى يا (نور) .. إننا نتجه إلى سطح القمر بسرعة ضخمة .

أجاب (نور) :

- استخدم جهاز التوجيه مرة أخرى .

راح كل منهما يستخدم أقصى طاقة لحزامه ، وانخفضت سرعة هبوطهما كثيرًا ، وعلى الرغم من هذا فقد غرقا فى ظلام عميق ، والسطح المظلم للقمر يقترب منهما فى سرعة ..

ولم يكن الهبوط سهلاً .

لقد ارتطما بالأرض فى عنف إلى حد ما ، وقفز جسداهما مرة أخرى إلى أعلى ، كما لو كانا كرتى تنس مطاطتين ، ثم عادا يهبطان فى رفق ، واستقر جسداهما على أرض القمر

لحظات ، فى صمت وسكون ، قبل أن يقول (رمزى) ، فى صوت خافت :

- يخيل إلىّ أن كل عظمة فى جسدى قد انكسرت إلى نصفين .

أجابه (نور) :

- لولا زى الفضاء المنيع هذا ، لتحول قولك إلى حقيقة .

شملهما الصمت دقائق أخرى ، بعد أن تبادلا عبارتيهما ، ثم نهض (نور) واقفًا فى خفة ، وهو يقول :

- أظن أنه من الضرورى أن نتحرك الآن ، فلقد نجحنا فى الهبوط على سطح القمر ، ولكننا هبطنا على النصف المظلم منه ، الذى ظل مجهولاً للبشر ، حتى النصف الثانى من القرن العشرين(*) ، عندما بدأت سفن الفضاء فى الدوران حوله ، وهذا يعنى أنه ما من مرصد فلكى يمكنه رؤيتنا هنا ، ويعنى أيضًا أن المسافة من هنا ، وحتى سجن القمر ، ستحتاج منا إلى ثلاث ساعات من السير على الأقل ..

سأله (رمزى) :

- وهل يكفى ما لدينا من أكسجين لهذا ؟

أجابه (نور) ، بعد لحظة من الصمت :

- أظن أن لدينا ما يكفى لثلاث ساعات ونصف الساعة ، هذا لو ..

(*) يدور القمر حول نفسه دورة كاملة ، فى نفس المدة التى يدور فيها حول الأرض دورة تامة ، وهى مدة ٢٧,٣ يومًا ، وتسمى هذه الدورة بالدورة النجمية ، وبسبب هذا التطابق ، فإن النصف الذى نراه للقمر - من الأرض - لا يتغير أبدًا .

بتر عبارته لحظات ، فسأله (رمزى) فى قلق :
ـ لو ماذا؟
تنهّد (نور) ، وأجاب :
ـ لو أمكننا معرفة الاتجاه الصحيح إلى السجن .
خيّم عليهما صمت ثقيل ، بعد إجابة (نور) ..
صمت يعنى أن الأمل فى النجاة مايزال ضئيلاً .. ضئيلاً للغاية .

* * *

٣ـ رسالة إمبراطور ..

سالت دمعة ساخنة ، على وجنتى (مشيرة) ، وهى تجلس خارج حجرة العناية المكثفة ، وتتطلّع عبر زجاجها السميك إلى (أكرم) ، الذى يرقد فى غيبوبة عميقة ، وقد اتصلت عشرات الأسلاك والأنابيب الدقيقة بجسده ، وتراصت حوله شاشات أجهزة قياس نبضات القلب ، وإشارات المخ ، ودورة الدم ، والدورة الليمفاوية ، وغيرها ..

لم تكن تتصوّر أن يأتى يوم ، يذوب فيه قلبها إلى هذا الحد ، فى حب (أكرم) ..

صحيح أنها تشعر نحوه بالإعجاب ، منذ حضر إلى المقرّ المصرى القديم ، ولكنها لم تتوقّع أن تحمل له كل هذا الحب فى قلبها ..

ولكنها سيئة الحظ ..

حتى الرجل الذى أحبته ، من أعمق أعماق قلبها ، يكاد يلفظ أنفاسه الأخيرة ، بين لحظة وأخرى ..

فى الماضى تركها (رمزى) ، والآن يتركها (أكرم) ، و..

ـ «أأنت صحفية (أنباء الفيديو)؟..»

انتزعها السؤال من أفكارها وشرودها ، وأدارت رأسها إلى تلك الممرضة النحيلة ، التى ألقته على مسامعها ، وتطلّعت فى وجهها لحظة ، ثم قالت :

ـ نعم .. هى أنا .. ماذا تريدين؟

أجابتها الممرضة فى انفعال :

- استمعى إلى البيان ، الذى يذاع من القمر .. أسرعى .

رددت (مشيرة) فى دهشة :

- من القمر ؟!

ثم قفزت من مقعدها ، وأشعلت جهاز الاستماع الوحيد فى ذلك الجناح من المستشفى ، فانبعث منه صوت (ميرفى) ، وهو يقول بلهجة قاسية صارمة :

- لذا فأنا أمنحكم يومين فحسب .. ثمان وأربعين ساعة ، للاعتراف بى إمبراطورًا عالميًا لكوكب الأرض ، تدين له كل الدول بالطاعة والولاء ، وإلا فسأعمل على تحطيم وتدمير أية دولة ، ترفض الاعتراف بهذا .. تذكّروا .. ثمان وأربعون ساعة فحسب .

ثم رددت كل أجهزة البث ، فى جميع أنحاء العالم ضحكته العالية الساخرة ، فهتفت (مشيرة) :

- إنه مجنون .

كانت تتصوّر أن هذه الضحكة هى نهاية الرسالة ، ولكن (ميرفى) تابع فى لهجة قاسية ، تجمع مابين التلذذ والسخرية :

- وحتى لايستنكر البعض قدرتى على أداء هذا ، سأمنحكم عينة بسيطة .. عينة من قدرة الإمبراطور الجديد .

اقترنت ضحكته هذه المرة برنة مخيفة ، ارتجف لها جسد (مشيرة) ، قبل أن تنقطع الرسالة تمامًا ، فهتفت :

- كيف أمكنه إرسال هذه الرسالة ؟

أجابتها الممرضة فى انفعال :

- قال فى بداية رسالته : إنه يمتلك قدرات مذهلة ، على سطح القمر ، مكّنته من السيطرة على محطة البث الأرضية ، ومنها يبث رسائله .

عضت (مشيرة) شفتيها قهرًا ، وهى تقول :

- اللعنة !..

ثم قفز عقلها إلى (نور) و(رمزى) ، وعاد جسدها يرتجف ، عندما مرّت تلك الفكرة المخيفة فى ذهنها ..

فكرة أن نجاح (ميرفى) يعنى أن (نور) و(رمزى) قد فشلا ..

أو لقيا حتفهما ..

* * *

دفع (رمزى) جسده إلى الأمام فى خفة ، فوق النصف المظلم للقمر ، ثم توقّف فى توتر ، والتفت إلى (نور) ، قائلاً :

- إننا نسير منذ نصف الساعة يا (نور) ، ولسنا ندرى إذا ماكنا نسير فى الطريق الصحيح أم لا .

توقّف (نور) بدوره ، وتلفّت حوله فى بطء ، قبل أن يقول :

- لايوجد دليل واحد ، يمكن أن يرشدنا إلى الاتجاه الصحيح ، فعلماء الفلك وحدهم ، يمكنهم تحديد هذا ، بدراساتهم السابقة لسطح القمر .

قال (رمزى) فى توتر أكثر :

- هذا يعنى أننا ربما نسير - فى الواقع - نحو حتفنا .

انخفض صوت (نور) ، وهو يقول :

- هذا صحيح .

ارتسم اليأس على وجه (رمزى) ، وتمتم فى مرارة :

ـ كنت أعلم أن الأمل أضعف من أن نتشبث به .

قال (نور) فى حزم :

ـ لاتفقد الأمل فى رحمة الله (سبحانه وتعالى) أبدًا يا (رمزى) .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى استقبل جهاز الاتصال فى خوذته صوت (ميرفى) الصارم ، وهو يقول :

ـ إلى أهل الأرض جميعًا .. الإمبراطور (ميرفى) يتحدث إليكم من القمر .

هتف (رمزى) كالملسوع ، وقد استقبل الرسالة بدوره :

ـ يا إلهى !.. لقد سيطر ذلك الوغد على أجهزة الاتصال بالفعل .

أشار إليه (نور) بالصمت ، وهو يستمع إلى (ميرفى) فى اهتمام ، وذلك الأخير يواصل :

ـ لقد أصبحت مخازن الذخيرة العالمية على القمر تحت سيطرتى ، وكذلك أجهزة الاتصالات الدولية ، وبوساطتها أمكننى السيطرة على كل وسائل البث ، وكل موجات الإرسال ووسائل القوة .

قال (رمزى) فى حدة :

ـ ألم أقل لك إنه مجنون؟

أجابه (نور) :

ـ ولكنه أفادنا فائدة عظمى ، لن يمكنه تصورها قط .

سأله (رمزى) فى حيرة :

ـ ما هى؟

أجابه (نور) ، وهو يدير أزرار أجهزة الاتصال :

ـ لو استمرّ فى حديثه نصف دقيقة أخرى ، فسيتمكّن جهاز الاتصال لدى من تحديد موقع الإرسال ، وسنحدّد وجهتنا هذه المرة .

هتف (رمزى) فى انفعال :

ـ يا إلهى !.. هذا صحيح .

أشار إليه (نور) بالصمت مرة أخرى ، ثم راح يدور حول نفسه فى بطء ، حتى توقّف عند زاوية محدودة ، وأشار بيده ، قائلًا فى حزم :

ـ البث يأتى من هذا الاتجاه بالتحديد .. هناك يقع سجن القمر .

قال (رمزى) فى ارتياح :

ـ حمدًا لله .. أخيرًا علمنا إلى أين ينبغى أن نتجه .

إلا أن وجهه لم يلبث أن امتقع ، وهو يستطرد :

ـ ولكن هذا يعنى أننا ظللنا نسير لنصف الساعة ، فى الاتجاه الخاطىء يا (نور) .

مطّ (نور) شفتيه ، قائلًا :

ـ للأسف !

تابع (رمزى) فى ارتياع :

ـ ليت الأسف يكفى يا (نور) .. إن هذا يعنى أيضًا أننا قد استهلكنا نصف ساعة من الأكسجين دون فائدة ، وأن مالدينا قد لايكفى لبلوغ سجن القمر .

أشار إليه (نور) بالصمت مرة أخرى ، ثم راح يدور حول نفسه فى بطء ، حتى توقف عند زاوية محدودة ..

وارتجف صوته فى شدة ، مستطردًا :

ـ إننا سنختنق هنا يا (نور) ، قبل أن نبلغ الهدف ..

قال (نور) فى صرامة :

ـ ولكننا لم نختنق بعد .

ثم أشار إلى مصدر الإشارة ، مستطردًا :

ـ هيا ياصديقى .. سنبدأ سيرنا على الفور نحو الهدف ، وسنحاول ادخار كل ذرة أكسجين لدينا ، ولن نستسلم للموت والاختناق ، قبل أن تنفجر رئة كل منا ، افتقارًا للهواء ..

وبدأ سيره بالفعل ، مضيفًا فى حزم :

ـ وللأمل ..

* * *

بدا القائد الأعلى الجديد ، للمخابرات العلمية المصرية ، شديد القلق والتوتر ، وهو يقول لـ (محمود) :

ـ لايمكننا تجاهل رسالة ذلك المجنون ، الذى أطلق على نفسه لقب الإمبراطور .. صحيح أن كل حرف فى رسالته يؤكد أنه يحمل عقلًا غير طبيعى ، ولكن الحقيقة المؤكدة ، هى أنه يسيطر بالفعل على كل مصادر القوة ، وأقوى مراكز الاتصال ، وهذا يمنحه قوة متميِّزة ، فى تلك المرحلة ، التى تسعى فيها الأرض للنهوض من كبوتها ، ومحاولة استعادة حضارتها وقوتها .

غمغم الدكتور (ناظم) ، مدير مركز الأبحاث الجديد ، التابع للإدارة :

ـ وهو يمتلك مكعبات الكمبيوتر أيضًا .

قال (محمود) فى ارتباك :

ـ أعلم أنه يمتلك كل هذا ، ولكن مازال هناك أمل ، فى القضاء عليه .

قال الدكتور (ناظم) فى حدة :

ـ أى أمل هذا ؟.. إنه يتحصن بسجن القمر ، على بعد مئات الآلاف من الكيلومترات ، ولم يعد لدينا سلاح واحد ، يمكنه إيذاء ناموسة ، من هذه المسافة .

عدّل (محمود) منظاره فوق عينيه ، وقال :

ـ ربما أمكننا ضربه فى معقله ياسيدى .

قال القائد الأعلى فى ضيق :

ـ ليس لدينا الوقت لوضع خطط خيالية يا (محمود) .. أتعلم .. لقد تلقيت ، فور انتهاء بث الرسالة ، برقية عاجلة ، من مركز الأمم المتحدة الجديد ، فى وسط أوروبا ، يطلبون فيه عقد جلسة طارئة لمناقشة الأمر ، ومن الواضح أنه هناك اتجاه عام للاستسلام ، والاعتراف بذلك الامبراطور المجنون ، إنقاذا للأرض من مصير أسود جديد ، بعد كل ما عانته من قبل ، و..

بتر عبارته ، عندما اشتعل راصده الخاص فجأة ، ونقل صورة مبنى الأمم المتحدة الجديد ، مع صوت (ميرفى) ، وهو يقول :

ـ انتبهوا يا أهل الأرض .. الآن ستشاهدون الدليل ، على ضرورة استسلامكم لإمبراطوركم الجديد .. إنكم ترون الآن مبنى الأمم المتحدة الجديد ، الذى أقمتموه فى وسط (أوروبا) .. إننى أمنح العاملين فيه خمس دقائق فحسب ،

لإخلاء المبنى تماما ، قبل أن أحيله إلى حفنة من التراب .

ارتفع حاجبا القائد الأعلى ، وهو يغمغم :

ـ يا إلهى !

أما (محمود) ، فقد عدّل منظاره فى توتر ، وهو يتابع المشهد ، فى حين هتف الدكتور (ناظم) فى حنق ، وهو يتابع الهرج والمرج ، اللذين أصابا العاملين بالمبنى :

ـ ياللوغد الحقير !.. أراهن أنه سيستخدم مدفع الليزر الضخم .. إنه مجنون حقير .

قال القائد الأعلى فى مرارة :

ـ ولكنه بالغ الخطورة ، فكل خطواته تؤكد أنه يتحرك بتتابع منطقى شديد ، واختياره مبنى الأمم المتحدة بالذات يشف عن ذكاء إجرامى خطير ، فهذا المبنى رمز لكل دول العالم ، وتحطيمه يعنى تحطيم الرمز ، فى قلوب الجميع .

مع آخر حروف كلماته ، تألقت حزمة الليزر الضخمة فى الهواء ، وهوت فوق المبنى الضخم ، انهار دفعة واحدة ، فوق رءوس من فيه ، وتعالت صرخات الموت واليأس ، والدكتور (ناظم) يهتف فى ارتياع :

ـ لقد سحق المبنى بعد دقيقة واحدة .. ذلك الحقير .. لقد منحهم خمس دقائق ، ثم خدعهم ، واغتالهم بعد دقيقة واحدة .

اخترق صوت (ميرفى) صرخات الموت والدمار ، وهو يقول فى صرامة :

ـ هذا هو الدرس الثانى لكم يا أهل الأرض .. عندما يمهلكم الإمبراطور خمس دقائق ، لتنفيذ أوامره ، فينبغى أن تبذلوا

قصارى جهدكم ، لتنفيذ هذه الأوامر فى دقيقة واحدة ، فإمبراطوركم الجديد لايتميّز بالصبر .

قهقه مرة أخرى ، وراح صوته وصورته يتلاشيان من الشاشة فى بطء ، وهتف القائد الأعلى فى مرارة وسخط :

ـ ياللحقير !.. كم أتمنى لو قصف أحدهم رقبته .. إننى مستعد لدفع نصف عمرى ، مقابل إرسال أحد رجالنا خلفه إلى القمر .

تنحنح (محمود) ، وعدّل منظاره للمرة الألف ، وهو يقول :

ـ احم .. هذا ماأتيت من أجله ياسيّدى .

التفت إليه القائد الأعلى والدكتور (ناظم) فى آن واحد ، وهتف الأخير :

ـ ماذا تعنى يا (محمود) ؟

اعتدل (محمود) ، وهو يقول :

ـ أعنى أن لدينا ـ الفريق وأنا ـ بعض الدلائل ، التى تشير إلى أن أقوى رجال المخابرات العلمية هناك بالفعل .. على سطح القمر .

ثم أخرج من جيبه صورة تم تكبيرها ألف مرة ، لـ (نور) و(رمزى) ، وهما يندفعان خارج حجرة معادلة الضغط ، وهو يستطرد :

ـ (نور) .. الرائد (نور الدين محمود) ..

* * *

هتف (رمزى) فى دهشة ، وهو يشير إلى منطقة ، تبعد مائتى متر تقريبًا ، عن موقعه مع (نور) :

ـ ياإلهى !.. انظر يا (نور) .. هناك خط فاصل شديد الوضوح ، يشير إلى اقترابنا من النصف المضىء من القمر !

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

ـ لم أكن أتوقع أن يدهشك هذا يا (رمزى) ، فلقد درسنا هذا الأمر فى المرحلة الإعدادية ، وكلنا نعلم أن صغر حجم القمر ، يجعل منطقة تماسه مع ضوء الشمس محدودة ، مما يصنع خطًا فاصلًا شديد الوضوح ، بين نصفيه ، المظلم والمضىء(*)

قال (رمزى) فى ضيق :

ـ ماتقرؤه غيرما تراه يا (نور) .

قال (نور) ، وهو يواصل سيره ، نحو الخط الفاصل بين الضوء والظلمة :

ـ ليس هذا مايهمنى الآن يا (رمزى) .. المهم هو أننا نقترب من منطقة الضوء ، وهذا يعنى أنهم قد يستطيعون رؤيتنا من الأرض .

أطلق (رمزى) ضحكة ساخرة ، تفيض بالمرارة ، وهو يقول :

ـ وبم يفيدنا هذا يا (نور) ؟ لقد قضينا ساعتين كاملتين ، حتى بلغنا هذه المنطقة ، ولم يعد لدينا من الأكسجين سوى مايكفى لساعة ونصف فقط ، فإما أن نبلغ سجن القمر ، قبل هذا الوقت ، أو يذهب كل ما فعلناه هباءً .

تنهّد (نور) ، وقال :

ـ فلندع الله (سبحانه وتعالى) ، أن نبلغه قبل هذا .

(*) حقيقة علمية .

واصلا سيرهما ، حتى عبرا من الظلمة إلى الضوء ، وهتف (رمزى) فى ارتياح :

ـ يا إلهى !.. هأنذا أرى الشمس مرة أخرى .. لم أتصوَّر أن يحدث هذا أبدًا .

قال (نور) فى أمل :

ـ سننجح بإذن الله يا (رمزى) .. سننجح فى كل شىء .. إننا نسعى لهدف عادل ، و..

قبل أن يتم عبارته ، فوجىء به (رمزى) يختفى فجأة من أمام عينيه ، فتراجع فى دهشة ، وهتف :

ـ (نور) .. أين أنت ؟ .. أين ذهبت ؟

ولكنه لم يتلق جوابًا قط .

★ ★ ★

٤ ـ بحر القمر ..

ارتجف الفلكى الشيخ (جابر) ، وهو يدلف إلى حجرة القائد الأعلى ، الذى استقبله فى لهفة وحرارة ، وهو يقول :

ـ تفضَّل يا (جابر) .. تفضل .. إننا نحتاج إليك بشدة .

حدَّق الفلكى فى وجهى القائد الأعلى ، والدكتور (ناظم) ، وهو يغمغم :

ـ تحتاجون إلى أنا؟

أجابه الدكتور (ناظم) :

ـ بالطبع يا رجل.. هيا.. اجلس ، وأخبرنى .. هل يمكنك التعامل مع المنظار الفلكى الإليكترونى ، فى مرصد (حلوان) ؟

بدت الدهشة على وجه (جابر) لحظات ، قبل أن يجيب فى حذر :

ـ إننى أحفظ تفاصيله عن ظهر قلب ، ولقد سبق لى التعامل معه ، قبيل إحالتى إلى التقاعد ، و ..

قاطعه القائد الأعلى ، هاتفًا :

عظيم .. يمكنك إفادتنا إذن .

تطلَّع إليه (جابر) مرة أخرى فى دهشة ، ثم سأله فى حذر :

ـ ما المطلوب منى بالضبط يا سيِّدى ؟

مال الدكتور (ناظم) نحوه ، وقال :

ـ نريد منك أن تلغى البرنامج الحالى للمنظار ، وأن تراقب القمر من أجلنا ، فمرصد (حلوان) هو المرصد الوحيد تقريبًا ،

الذى يمكنه العمل ، فى العالم الجديد بأكمله ، ونحن نحتاج إلى مراقبة كل مايحدث ، فوق النصف المواجه لنا من القمر .. هل يمكنك هذا؟

هزّ (جابر) كتفيه ، وقال :

ـ مراقبة القمر أمر أبسط مما تتصور ياسيدى ، فأى فلكى مبتدئ يحفظه عن ظهر قلب ، ويمكنه السير فوقه معصوب العينين ، دون أن يتعثر فى حجر واحد .

هتف القائد الأعلى :

ـ عظيم .

ولكن (جابر) استطرد فى سرعة :

ـ إلا أنه هناك عقبة واحدة أمام ذلك .

تراجع الدكتور (ناظم) ، والتقى حاجباه ، وهو يقول :

ـ عقبة ؟!.. أية عقبة ؟

لوّح (جابر) بكفه ، وقال :

ـ هناك جهاز لعين ، متصل مباشرة ببرنامج المنظار ، وأية محاولة لعزله عن المنظار ، ستؤدى إلى انفجاره ، ونسف مرصد (حلوان) بأكمله .

همهم القائد الأعلى :

ـ يا إلهى!

أما الدكتور (ناظم) ، فقال فى توتر :

ـ لست أظن هذه العقبة تعوقنا عن هدفنا ، فلدينا هنا أفضل فريق علمي، فى العالم أجمع .

وضغط أزرار جهاز الاتصال ، وهو يستطرد فى ثقة :

ـ فريق (نور) .

وبدأ اتصاله بالفريق ..

أو بمن تبقى منه ..

* * *

بذل النحيل أقصى جهده ، للسيطرة على أعصابه وانفعالاته ، وهو يدخل إلى مكتب رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ، الذى تطلع إليه فى برود ، وإن لم تخل نظرته من الصرامة ، وأشار إلى مقعد يواجه مكتبه ، ويبعد عنه مترين على الأقل ، وهو يقول :

ـ اجلس يا (هاوزر) فمن المؤكد أن حديثنا سيطول .

جلس النحيل ، ودقات قلبه تتسارع ، وعيناه تتعلقان بوجه رئيس الجمهورية ، الذى رمقه بنظرة صامتة طويلة ، قبل أن يقول فى برود شديد :

ـ لاريب أنك سمعت رسالة التحذير ، التى تم بثها من القمر .. أليس كذلك؟

أومأ النحيل برأسه إيجابا ، ومنعه حلقه الجاف من التعليق بحرف واحد ، فتابع رئيس الجمهورية ، وقد بدأت الصرامة تتسلل إلى صوته :

ـ لقد رأيت وجه ذلك الامبراطور الهزلى ، كما رآه العالم أجمع ، ولكننى تميزت عن هذا العالم بنقطة واحدة ، ألا وهى أن وجه ذلك الامبراطور بدا لى مألوفا للغاية ، فطلبت بعض الملفات السرية القديمة ، التى نجت من الغزاة ، فى أحد المخابئ النووية السرية .

واكتسى صوته كله بالصرامة ، وهو يضيف :

ـ وكانت المفاجأة .

توتر النحيل على مقعده ، وقال :

ـ سيِّدى الرئيس .. إننى ..

قاطعه الرئيس بإشارة صارمة من يده ، وتابع ، والغضب يحل جزءًا من مساحة الصرامة فى صوته :

ـ لقد عثرت على صورة الامبراطور ، وسط الملفات ، وتذكرت أنه أحد رجالك المقربين ، ويدعى (ميرفى) ، و..

لم يحتمل النحيل أكثر من هذا ، فقال فى عصبية :

ـ سيِّدى .. إننى لم أنكر أن ..

قاطعه الرئيس فى ثورة :

ـ ولم تعترف به أيضًا .. لقد انتظرت تقريرا تفصيليًا منك ، بعد الرسالة الأولى مباشرة ، ولكنك لم تفعل ، مما أكد شكوكى ، فى أنك وراء تلك العملية القذرة ، التى يقوم بها (ميرفى) .

راح جسد النحيل يرتجف ، من فرط عصبيته ، وهو يقول :

ـ لم تكن العملية قذرة فى البداية ، ولكن ..

صاح الرئيس فى غضب :

ـ ولكنك أخفيت أمرها عنى ، وعن مؤسسة الرياسة كلها ، فلماذا يا (هاوزر) ؟.. لماذا ؟

كان جسد (النحيل) ينتفض فى عنف هذه المرة ، وهو يقول :

ـ لم أجد ضرورة لإعلانها ، قبل أن ..

قاطعه الرئيس فى هياج هذه المرة ، وهو يلوِّح بسبابته فى ثورة :

ـ قبل أن ينجح (ميرفى) ، ويسيطر على العالم لحسابك .. أليس كذلك ؟

هتف النحيل :

ـ خطأ يا سيِّدى .. (ميرفى) لم يعد يعمل لحسابى ، أو لحساب أى مخلوق آخر .. (ميرفى) يعمل الآن لحساب نفسه وحده .

لوَّح الرئيس بذراعه كلها محنقًا ، وهو يقول :

ـ هراء .. لقد حلل رجالى موقفك ، وأدركوا السر فيما يحدث .. إنك ألمانى الأصل ، وكذلك (ميرفى) ، والعالم اليوم يعيد تشكيل قياداته ، ولاريب أنكما قد تعاونتما ، لإعادة مجد (ألمانيا) القديمة .. أليس كذلك ؟

هبَّ النحيل من مقعده ، هاتفًا :

ـ مستحيل !.. لقد أخطأ رجالك حتمًا يا سيادة الرئيس .. صحيح أننى ألمانى الأصل ، ولكن هذا يعود إلى أجداد أجدادى ، فقد هاجر جد جدى إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، فى النصف الأوَّل ، من القرن العشرين ، بصحبة ابنه وحفيده ، الذى هو جدى ، أما (ميرفى) ، فقد هاجر جده إلى هنا ، فى النصف الثانى من القرن العشرين ، وهو يهودى الديانة ، وأنت تعلم أنه من المستحيل أن يتعاون ألمانى مع يهودى ، لبناء (ألمانيا) جديدة .. الجميع يعلمون هذا جيدًا(*) .

(*) كان الألمان يكرهون اليهود جدا ، خلال الحرب العالمية الثانية ، ولقد اعتقل (أدولف هتلر) أعدادا كبيرة منهم ، فى معسكرات عمل ، لاعتقاده أنهم السبب الرئيسى فى خسارة (ألمانيا) للحرب العالمية الأولى ، بسيطرتهم على الاقتصاد الألمانى آنذاك ، وماتت أعداد غفيرة من اليهود ، داخل معسكرات الاعتقال ، فاستغل اليهود هذا الحدث ، وادعوا أن (هتلر) كان يعذبهم ، ويحرقهم أحياء ، وبدأوا يحصلون على معونات اقتصادية ضخمة ، كتعويض عن ذلك .

صاح الرئيس :
- لقد درس رجالى هذه النقطة أيضًا ، ووجدوا أن هذا لن يمنع تعاونكما معًا .. بل هو التفسير الوحيد لكتمانك الأمر .
توتر النحيل فى شدة ، وهو يقول :
- سيِّدى الرئيس .. دعنى أوضِّح موقفى .
ضغط الرئيس زرًا من أزرار مكتبه ، وهو يقول فى حدة :
- لم يعد هناك وقت للتفسير والتوضيح يا (هاوزر) .. لقد اتخذنا قرارنا الحاسم ، فى هذا الشأن .
غاص النحيل فى مقعده ، واتسعت عيناه فى ذعر ، عندما ظهر رجل طويل ، بارد الملامح ، يحمل مسدسًا ليزريًا كبيرًا ، فى حين تابع الرئيس فى صرامة :
- إنها مرحلة إعادة البناء يا (هاوزر) .. والظروف لاتسمح بمحاكمات طويلة ، واستجوابات عقيمة .
هتف النحيل بصوت مختنق :
- سيِّدى الرئيس .. أقسم لك إننى ..
صاح الرئيس فى غضب :
- صدر الحكم يا (هاوزر) .
وفى هدوء ، صوَّب الرجل البارد الملامح مسدسه إلى النحيل ، الذى جحظت عيناه رعبًا ، وتشبثت قبضتاه بمسندى مقعده ، فى حين تابع الرئيس فى حدة صارمة :
- الإعدام يا (هاوزر) .
فتح النحيل شفتيه ، لينطق بشىء ما ، ولكن أشعة مسدس الطويل اخترقت جمجمته فى اللحظة نفسها ، فتشبثت أصابعه

أكثر بالمسندين ، ثم لم يلبث جسده كله أن تراخى ، وخبا من عينيه نور الحياة ، فأعاد الطويل مسدسه إلى جيبه ، ووقف ينتظر أوامر أخرى ، فى حين أشاح الرئيس بوجهه ، وغمغم فى حنق :
- اللعنة !.. وكأننا أفراد عصابة من عصابات (المافيا) القديمة .
وضغط زرًا آخر من أزرار مكتبه ، فانفتحت فجوة كبيرة أسفل المقعد ، واختفى فيها المقعد مع جثة النحيل ، قبل أن تُغلق الفجوة من جديد ..
ويُغلق معها ملف النحيل ..
إلى الأبد ..

* * *

لو أن صحفيًا نشيطًا نجح فى السفر إلى القمر ، والتقى بـ(رمزى) ، فى تلك اللحظة ، وسأله عن أكثر لحظات الذعر فى حياته ، لأجابه (رمزى) - دون تردد - إنها هذه اللحظة ؛ فقد كان يقف على سطح القمر ، على بعد آلاف الكيلومترات من الأرض ، ولديه من الهواء مايكفيه لساعة ونصف على الأكثر ..
واختفى (نور) أمام عينيه ..
وبكل هذا الذعر فى أعماقه ، راح (رمزى) يهتف :
- أين أنت يا (نور)؟.. أين ذهبت؟
أتاه صوت (نور) ، وهو يقول فى حدة :
- قف مكانك ياصديقى .. لاتخط خطوة واحدة .

وضغط زرًا آخر من أزرار مكتبه ، فانفتحت فجوة كبيرة أسفل المقعد ، واختفى فيها المقعد مع جثة النحيل ، قبل أن تغلق الفجوة من جديد ..

تلفت (رمزى) حوله فى هلع ، وهتف :

ـ من أين تتحدث يا (نور)؟.. أين أنت؟

أجابه (نور) :

ـ أمامك مباشرة .. ولكن لاتتحرك .

وعلى الرغم من هذا التحذير ، مال (رمزى) إلى الأمام ، وحرك كفه فى حذر ، بحثًا عن مصدر صوت (نور) ، وخطا بقدمه خطوة واحدة ، و..

ووجد نفسه يهوى فجأة ..

يهوى داخل بحر من الرمال ..

بحر عجيب ، لم ير له مثيلًا فى حياته كلها من قبل ..

كان كل مايحيط به من الرمال الناعمة ، التى حجبت ضوء الشمس إلى حد كبير ، وعلى الرغم من هذا ، فلم يكن يشعر بأية مقاومة للرمال ، وهو يهوى بينها بسرعة نسبية ، حتى ارتطمت قدماه بالأرض ، واصطدم جسده بجسم مماثل ، فهتف :

ـ (نور) .. أهو أنت؟

أجاب (نور) فى أسف :

ـ نعم .. هو أنا .. لماذا سقطت فى الفخ نفسه ياصديقى؟

تحسس (رمزى) جسد (نور) ، وسط الظلام الشديد ، الذى يحيط به ، وقال فى انفعال :

ـ أين نحن يا (نور)؟

قال (نور) ، وهو يلتقط يد صديقه بين أصابعه :

ـ لقد سقطنا فى بحر من الرمال الناعمة ياصديقى .

قال (رمزى) فى دهشة :

ـ ولكننى لم أشعر بأية مقاومة .

أجابه (نور) ، وهو يقوده إلى جهة ما :

ـ هذا لأن جاذبية القمر منخفضة ياصديقى ، مما يُفقد ذرات الرمال تماسكها ويُقلّل من كثافتها ، فتصبح أشبه ببحر من الرمال غير المتماسكة ، ونحن نقف الآن فى قعر ذلك البحر .

سأله (رمزى) فى توتر :

ـ المهم هو كيف نخرج منه .

أجاب (نور) ، وهو يتنهّد :

ـ نبحث عن شاطئ .

ردّد (رمزى) فى دهشة أكبر :

ـ شاطئ ؟!

أجابه (نور) :

ـ نعم ياصديقى .. لقد سقطنا فى فجوة ترتفع جدرانها بزاوية قائمة ، ولن يمكننا العودة إلى السطح من المكان نفسه ، لذا فمن الضرورى أن نبحث عن جدار مائل ، يمكننا صعوده إلى السطح .

سأله (رمزى) فى عصبية :

ـ وأين يمكننا أن نجد مثل هذا الجدار ؟

هزّ (نور) كتفيه ، وقال :

ـ من يدرى ؟

ولولا الظلمة لبدا امتقاع وجه (رمزى) واضحًا ، وهو يتبع (نور) ، الذى أمسك يده جيدًا ، وواصل سيره داخل بحر

الرمال ، متشبثًا بالشيء الوحيد ، الذى يبقيه على قيد الحياة ، فى مثل هذه الظروف ..

بالأمل ..

* * *

«مستحيل !.. »

نطقتها (سلوى) فى يأس ، وهى تلقى جسدها فوق أقرب مقعد إليها ، وتتطلّع فى مرارة إلى ذلك الجهاز الصغير ، الذى أوصله (ميرفى) بجهاز الاتصال الفضائى وبرنامج المنظار الفلكى ، قبل أن تستطرد فى حنق :

ـ لقد وضع ذلك الوغد خطته فى براعة حقيقية ، واستخدم نوعًا من الموصلات شديدة الحساسية ، وبرنامجها شديد التعقيد فى الوقت ذاته ، ولو تم تحريك الجهاز ، أو فصل أحد أسلاكه ، أو حتى الشوشرة عليه بالموجات فوق الصوتية ، أو المجالات الكهرومغناطيسية ، فسينفجر على الفور ، وينسف المرصد كله .

تمتم (محمود) :

ـ ياللحقير !

أما (نشوى) ، فقالت فى اهتمام :

ـ ولكن لاينبغى أن يُشعرنا هذا باليأس ، فقد تعلّمت من أبى أنه مامن مشكلة بلا حلول .. المهم هو أن نفكّر ، وأن نسعى للبحث عن حل .

أشارت (سلوى) إلى الجهاز ، وقالت :

ـ ابحثى أنت عن الحل .

قالت فى حماس :

ـ لقد عثرت عليه تقريبًا .

التفت إليها (محمود) و(سلوى) والفلكى (جابر) فى دهشة ، وهتف الأخير :

ـ ما هو ؟

اعتدلت (نشوى) ، وقالت :

ـ لقد استشرت الكمبيوتر كالمعتاد .. أعطيته كل المعلومات ، وطلبت منه البحث عن وسيلة ، فلم يستغرق سوى ربع الثانية ، ومنحنى الجواب على الفور .

سألتها (سلوى) فى لهفة :

ـ وما هو ؟

أشارت بسبابتها ، هاتفة :

ـ غلاف الطاقة .

انعقد حاجبا (سلوى) ، فى حين تألقت عينا (محمود) ، وهو يهتف :

ـ يا إلهى !. هذا صحيح .. كيف لم نفكر فى هذا الاحتمال؟

ضاعفت عبارته فى حماس (نشوى) ، فتابعت :

ـ سنحيط الجهاز بغلاف من الطاقة .. نفس نوع الغلاف ، الذى حمى حقيبة المكعبات من الانفجار الذرى .. ومع إحاطة الجهاز بالغلاف الفيروزى ، سيشتعل جهاز الأمن به ، وينفجر ، ولكن الغلاف سيحتوى الانفجار ، و ..

قاطعتها (سلوى) :

ـ هذا لو حدث الانفجار ، بعد اكتمال غلاف الطاقة .

صدمت العبارة (نشوى) ، وأزالت الكثير من حماسها ، وهى تسأل أمها :

ـ ماذا تعنين يا أماه؟

لوّحت (سلوى) بكفها ، قائلة :

ـ هذا الجهاز اللعين مصمّم ، بحيث ينفجر فور محاولة إلغاء فاعليته ، وربما يحدث هذا الانفجار ، فور تشغيل جهاز الطاقة الفائقة ، الذى سيحيطه بالغلاف .

قال (محمود) فى حزم :

ـ وربما لا .

تطلّعت إليه (سلوى) ، فأضاف :

ـ سأحتمل النتائج .

قالت معترضة :

ـ ماذا يعنى؟.. إنك لن ..

قاطعها فى حزم أكبر :

ـ أنت تعرفين قواعد التسلسل القيادى ، التى وضعها (نور) للفريق ، منذ بدأنا عملنا معًا ، فهو القائد دائمًا ، وفى غيابه ينوب عنه (رمزى) ، وفى حالة غيابهما معًا ، أتولّى أنا القيادة ، وهذا يعنى أنه من المحتم عليكما إطاعة أوامرى .

قالت فى حدة :

ـ ولكنك تخاطر بحياتك .

أجاب فى انفعال :

ـ لقد وافقت على هذا ضمنيًا ، عندما انضممت إلى الفريق .

تطلع إليه الجميع فى صمت ودهشة ، بعد عبارته هذه ، فعدّل منظاره ، وقال :

ـ من حسن الحظ أننا نحمل جهاز طاقة فائقة، سأعمل على تثبيته بالجهاز، فى الوقت الذى تغادرون فيه المرصد، وتبتعدون لمسافة كافية، وبعدها سأعمل على تشغيله، وليكن ما يكون.

هتفت (نشوى) :

ـ ولكنك قد تقتل نفسك .

أجابها فى صرامة ، وهو يخرج الجهاز الصغير من جيبه :

ـ هذا أمر .. هيا .. ابتعدوا .

تبادلوا نظرات حائرة مرتبكة ، وغمغمت (سلوى) :

ـ ألا يمكنك تشغيل الجهاز ، واللحاق بنا ، قبل أن ..؟

قاطعها وهو يثبت الجهاز الصغير فى حذر :

ـ أنت تعلمين أن هذا مستحيل ، ففور ضغط الجهاز سيكون لديك ثانية واحدة لإبعاد يدك ، قبل أن يتكوّن غلاف الطاقة .

ثم هتف فى غضب :

ـ هيا .. ابتعدوا .. قلت لكم إنه أمر .

اتجه (جابر) إلى (نشوى) و(سلوى) ، وقال وهو يدفعهما أمامه إلى الخارج :

ـ ألم تسمعا ما قاله ؟. هيا .. فلنبتعد عن هنا فى سرعة .

راقب (محمود) الثلاثة ، وهم يبتعدون بسيارته عن المكان ، ثم التقط نفسًا عميقًا ، وقال :

ـ على بركة الله .

وضغط زر جهاز الطاقة الفائقة ..

ودوى الانفجار ..

* * *

٥ ـ جنون ..

خُيِّل لـ (رمزى) أن دهرًا قد انقضى ، منذ هوى مع (نور) فى بحر الرمال العجيب هذا ، وزاد الصمت والظلام والغموض من توتّر أعصابه الشديد ، فهتف :

ـ ألن نبلغ شاطئ الأمان هذا أبدًا ؟

كاد يقفز فرحًا ، عندما أجابه (نور) :

ـ لقد بلغناه بالفعل يا صديقى .

هتف :

ـ كيف ؟

لم يكد ينطقها ، حتى لامست أقدامه أوّل الحائط المائل ، الذى يمكن أن يقود إلى سطح القمر ، فأطبق شفتيه فى انفعال ، وراح يتسلّق ذلك الجدار فى حذر ، خلف (نور) ، وانتفض جسده كله فى سعادة جمة ، عندما سمع (نور) يقول :

ـ أخيرًا .

تعلّق بالصخور فى حماس ، وشعر بارتفاع جسده فى خفة وسهولة ، حتى غمر ضوء الشمس وجهه بغتة ، ورأى سطح القمر يمتدّ أمامه ، فهتف :

ـ لقد نجونا .. نجونا يا (نور) .

غادر بحر الرمال ، والتفت يتطلع إليه فى دهشة أكبر ، فعلى الرغم من أنه خرج منه منذ لحظة واحدة ، إلا أنه يكاد يقسم أن

تلك المساحة الضخمة المستوية ، الممتدة خلفه ، ليست سوى أرض صلبة ، تغطيها الرمال ، فغمغم :

ـ ستظل طبيعة القمر تدهشنى أبد الدهر يا (نور) .

لم يسمع جوابًا من (نور) ، فالتفت إليه ، قائلًا :

ـ أليس كذلك يا (نور)؟

تجمّد فى مكانه ، عندما وقع بصره على الشىء نفسه ، الذى يتطلّع إليه (نور) فى صمت ..

كانت تلك القبة الشامخة تبدو من بعيد ، وأشعة الشمس تنعكس فوقها ، فى مشهد مهيب ..

قبة السجن ..

سجن القمر ..

وبصوت متحشرج مرتجف ، يموج بالانفعال ، قال (رمزى) :

ـ ها هوذا .

أجابه (نور) فى أسف واضح :

ـ ولكنه أبعد مما كنت أتمنى .

هتف (رمزى) في حرارة :

ـ لماذا يا (نور)؟.. إنه يبعد عنا مسيرة ساعة واحدة على الأكثر ، و..

بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه في ذعر ، ثم ألقى نظرة سريعة على ساعته ، وعندئذ أدرك سر أسف (نور) ..

إنهما لم يعودا يمتلكان إلا ما يكفى لنصف الساعة فقط من الأكسجين ..

وهذا يعنى أن آخر أمل قد انتهى ..

للأسف ..

* * *

ارتجف جسد (نشوى) فى قوة ، مع دوى الانفجار ، داخل مرصد (حلوان) ، وخفق قلبها فى عنف ، وهى تقول فى ارتياع :

ـ لم يكن من المفروض أن نسمع دوى الانفجار ، لو نجحت الفكرة .

اتسعت عينا (سلوى) فى هلع ، وهى تقول :

ـ يا إلهى !.. (محمود) !

أدارت محرّك السيارة ، وانطلقت بها عائدة إلى المرصد ، وجسدها كله يرتجف ، من فرط الانفعال ، ولم تكد توقفها أمام المرصد ، حتى قفزت منها ، وسبقتها (نشوى) إلى الداخل ، وهى تهتف :

ـ رباه !.. أنقذه يا إلهى !.. أنقذه .

أطلقت شهقة قوية ، واتسعت عيناها ذعرًا ، عندما رأت تلك الفوضى داخل المرصد ، وجسد (محمود) ، الملقى عند الجدار ، واندفعت مع أمها و(جابر) نحوه ، وصاحت :

ـ (محمود) .. ماذا حدث؟..

أجاب فى تهالك ، وهو يفتح عينيه فى صعوبة ، وقد تحطم منظاره عند قدميه :

ـ كانت (سلوى) على حق .. لقد انفجر الجهاز ، قبل اكتمال تكوّن غلاف الطاقة ، ولكن ..

تدفق الدم فجأة من أنفه ، فبتر عبارته ، وهتف (جابر) :
ـ يا إلهى !.. إنك تحتاج إلى إسعاف سريع .
أشار (محمود) بسبابته ، قائلاً :
ـ دعك منى الآن .. لقد انفجر الجهاز ، ونجح الجزء المتكوّن من غلاف الطاقة ، فى الحد من الانفجار .. ونجا المرصد ، ويمكنك الآن أداء عملك ، و...
سعل فى قوة ، وتضاعف تدفق الدماء من أنفه ، وعلى الرغم من هذا فقد ارتسمت على وجهه ابتسامة متهالكة ، وهو يقول :
ـ المهم أننى نجحت .. نجحت هذه المرة .
ثم سقط فى غيبوبة عميقة ..

★ ★ ★

شعر (رمزى) أن ساقيه لا تحتملانه ، بعد أن كشف أن كمية الأكسجين لن تكفيه مع (نور) ، لبلوغ سجن القمر ، فبحث عن أقرب صخرة ، وجلس فوقها ، وهو يقول :
ـ كنت أعلم هذا يا (نور) .. كنت أعلم أن الأمل فى النجاة ، وسط كل هذه الظروف ، أجمل من أن يتحقق .
أجابه (نور) :
ـ أنا أيضًا كنت أعلم أن الأمل ضعيف للغاية ، ولكن هذا لم يمنعنى من التحرك طيلة الوقت تشبثًا به .
ثم رفع سبابته ، واستطرد فى حزم :
ـ وهذا هو السبب نفسه ، الذى يمنعنى من الاستسلام لليأس الآن .

شعر (رمزى) أن ساقيه لاتحتملانه ، بعد أن كشف أن كمية الأكسجين لن تكفيه مع (نور) لبلوغ سجن القمر ، فبحث عن أقرب صخرة ، وجلس فوقها ..

قال (رمزى) :

ـ ولكن ما الذى يمكننا أن نفعله يا (نور) ؟.. ها هوذا سجن القمر أمامنا ، ولكن مالدينا من الأكسجين لن يسمح لنا بالوصول إليه ..

بتر عبارته فجأة ، وبدت على وجهه علامات التفكير العميق ، وهو يكمل فى انفعال :

ـ إلا إذا ..

التفت إليه (نور) ، وقال :

ـ إلا إذا ماذا؟

تطلع إليه (رمزى) لحظات فى صمت ، قبل أن يقول فى حسم :

ـ إلا إذا حصل واحد منا فقط ، على كمية الأكسجين كلها يا (نور) .

هتف (نور) :

ـ ماذا تعنى؟

أجابه فى توتر ملحوظ :

ـ أعنى أن ذلك الوغد يتحصن بسجن القمر ، وقد حصل على كل القوة والسطوة ، وعلى حقيبة المكعبات كذلك ، وهو يسعى للسيطرة على الأرض كلها ، ولابد من إيقافه بأى ثمن ، قبل أن ينجح فى تحقيق هدفه ، وتخضع الأرض ثانية للاستعباد والقهر .

هز (نور) رأسه ، وقال :

ـ اسمعنى يا (رمزى) ..

قال (رمزى) فى حزم عصبى :

ـ اسمعنى أنت يا (نور) .. كلانا يعلم أن الفرصة الوحيدة ، فى إيقاف ذلك الأمريكى ، هى القضاء عليه ، قبل أن يستتب له الأمر ، والأمل الوحيد فى حدوث هذا يعتمد علينا .. أنت وأنا .. وكلانا يعلم أيضًا أنك أقدر منى على هذا ، ومادامت كمية الأكسجين لدينا لن تكفينا معًا ، للوصول إلى سجن القمر ، والعمل على إيقاف ذلك الإمبراطور الحقير ، فالواجب يقتضى أن أمنحك ما لدى من الأكسجين ، و...

قاطعه (نور) فى صرامة :

ـ لا .. أنا أرفض هذه التضحية .

قال (رمزى) فى عصبية :

ـ لاتضيع الوقت يا (نور) .. إنك مسئول الآن عن مصير الأرض كلها ، ولن أساوى وحدى كل سكان الأرض ..

ثم مد يده لينتزع خراطيم الأكسجين ، مستطردًا :

ـ ولقد اتخذت قرارى بالفعل .

أمسك (نور) معصم (رمزى) فى قوة ، وهو يقول :

ـ مهلًا يا رجل .. إننى القائد هنا ، ولن تبدأ أية خطة ، إلا بعد أن نعرف جيدًا إلى أين تقودنا ، وبعد أن أجد أنها حتمية .

قال (رمزى) ، فى لهجة أقرب إلى الضراعة :

ـ ولكنها حتمية يا (نور) .. أقسم لك إنها كذلك .

اعتدل (نور) ، وقال :

ـ ليس قبل أن نستنفد كل الوسائل .

سأله (رمزى) فى أسى :

- وهل هناك وسائل أخرى ، يمكن استنفادها؟
أجابه فى حزم :
- نعم .. توجد وسيلة واحدة .
سأله فى خفوت بائس :
اعتدل (نور) ، وقال :
- طريقة (الكنغر)(*) .. سنقفز ياصديقى .. سنستغل ضعف الجاذبية على القمر ، ونقطع المسافة المتبقية قفزًا ، ادخارًا للوقت .
ردَّد (رمزى) فى دهشة :
- قفزًا؟!
أجابه (نور) ، وهو يساعده على النهوض :
- نعم ياصديقى .. سنقطع المسافة الباقية قفزًا ، ونكمل مهمتنا معًا .. هيا بنا .
وبدأت مهمتهما مرحلتها الجديدة ..
مرحلة (الكنغر) ..

* * *

نهض ممثلو دول العالم ، لاستقبال قائد المخابرات العلمية ، الذى صافح الجميع فى انفعال ، قبل أن يتخذ مجلسه بينهم ، ومندوب الولايات المتحدة يقول :

(*) الكنغر : حيوان كيسى ، يستوطن (استراليا) و(تسمانيا) ، له طرفان أماميان قصيران ، وطرفان خلفيان طويلان قويان ، يساعدانه على القفز فى قوة ، ويعاونه ذيله الضخم الطويل على حفظ توازنه فى أثناء القفز .

- بوصولك اكتمل العدد يامندوب (مصر) .. ولقد كنا نناقش الأمر قبيل وصولك ، ووجدنا أنه لاقبل لنا بمواجهة الإمبراطور (ميرفى) ، وليس أمامنا سوى الاستسلام، و..
قاطعه القائد فى حزم :
- بلادى ترفض هذا تمامًا .
تبادل الحاضرون نظرات مشفقة ، وقال أحدهم :
- يبدو أنكم لاتدركون طبيعة الموقف جيدًا ، فـ (ميرفى) هذا يمتلك كل القوة بالفعل ، ونحن لا نملك وسيلة واحدة لمواجهته ، وسيدمرنا جميعًا بلا رحمة ، لو لم نعلن استسلامنا له .
قال القائد فى صرامة :
- ولكننا لم نفقد الأمل كله بعد .
تبادل الجميع نظرات الدهشة هذه المرة ، وقال مندوب (فرنسا) :
- وأى أمل تمتلكون؟
ابتسم القائد ، وقال :
- أظننى مضطرًا لكشف أحد أهم أسرارنا لكم أيها السادة .
وأدار عينيه فى وجوههم لحظة ، قبل أن يضيف :
- إن لنا رجلين على سطح القمر .
اتسعت العيون فى دهشة ، وهتف أحد الحاضرين :
- لديكم رجلان هناك .. كيف أمكنهما الصعود إلى القمر ؟.. وكيف ..؟
قاطعه القائد بإشارة من يده ، وهو يقول :

- ليس من حقى كشف وسائلنا إيها السادة ، ولكننى تلقيت قبيل دخولى إلى هنا ، محادثة هاتفية ، نقلت إلىَّ صورة أثلجت صدرى ، وربما كان هذا هو السبب الرئيسى ، الذى أخرنى عن الحضور فى موعدى .. وهذه الصورة لرجلينا ، وهما يقفزان على سطح القمر .

هتف مندوب (انجلترا) فى دهشة :

- يقفزان ؟!

ابتسم القائد مرة ثانية ، وقال :

- نعم أيها السادة .. إنهما يستخدمان طريقة (الكنغر) ! لبلوغ حصن الإمبراطور المجنون ، والتعامل معه بكل الحزم .

ثم أدار عينيه مرة أخرى فى وجوههم ، مضيفًا :

- صدقونى أيها السادة .. إننا لم نفقد الأمل بعد ..

وكان على حق ..

* * *

كل قفزة على سطح القمر ، كانت تدفع (نور) و(رمزى) ثمانية أمتار إلى الأمام ، مما جعل سجن القمر يقترب فى سرعة ، إلا أن هذه القفزات المتتابعة جعلتهما يلهثان فى شدة ، حتى أن (رمزى) قال فى صعوبة :

- لست أظننى أستطيع مواصلة هذا يا (نور) .

أجابه (نور) :

- ينبغى أن تبذل قصارى جهدك ياصديقى ، لقد اقتربنا كثيرًا .

قال (رمزى) ، وهو يلهث فى عنف :

- ولكن لهاثنا هذا يستهلك كمية أكبر من الأكسجين يا (نور) .

هتف (نور) :

- لاتفقد الأمل أبدا ياصديقى .. واصل قفزاتك ، وليشملنا الله (سبحانه وتعالى) برحمته ورعايته .

ارتفع حاجبا (ميرفى) فى دهشة ، داخل قبة (سجن القمر) ، عندما التقطت أجهزته هذا الحوار ، الذى يدور على مقربة منه ، وغمغم :

- لايفقد الأمل ؟!.. ما الذى يحدث هنا ؟

حدَّدت أجهزته اتجاه البث فى سرعة ، فأشعل شاشة الراصد ، وانعقد حاجباه فى شدة ، عندما نقلت إليه الشاشة صورة (نور) و(رمزى) ، وهما يقفزان بهذه الوسيلة ، على سطح القمر ، وهتف :

- عجبًا !!.. لقد نجا ذلك الرائد ورفيقه !.. ياالهما من شيطانين !..

كيف فعلا هذا ؟

راقب المشهد لحظة أخرى ، ثم قال فى سخرية :

- فليكن .. ليس فى كل مرة تسلم الجرَّة .. لقد نجوتما مرة فى سفينة فضاء ضالة ، ولكن وصولكما إلى القمر لايعنى أنكما ستربحان المعركة .

وضغط أحد الأزرار أمامه ، مستطردًا :

- وداعًا أيها المحظوظان .

ومع ضغطته ، انطلقت حزمة ضخمة من أشعة الليزر ، نحو (نور) و(رمزى) .

وهبطت نسبة الأمل إلى الصفر .

* * *

٦ ـ السقوط ....

هزت (مشيرة) رأسها ، وهى تتطلع إلى رجال مستشفى الطوارىء ، الذين وضعوا (محمود) على الفراش المجاور لـ(أكرم) ، فى حجرة العناية المركزة ، وراحوا يوصلون جسده بأسلاكهم وأنابيبهم الدقيقة ، وقالت فى مرارة :

ـ إذن فهذا مانربحه من عملنا .. (أكرم) و(محمود) فقدا وعيهما ، ويعانيان إصابات بالغـة الخطـورة ، و(نور) و(رمزى) مفقودان فى الفضاء .

أجابتها (نشوى) ، وهى تربت على كتفها فى إشفاق :

ـ لم يعد (رمزى) وأبى مفقودين .. لقد تمكن الفلكى (جابر) من العثور عليهما ، على سطح القمر .

هتفت (مشيرة) :

ـ إذن فقد نجوا .. هذا أسعد خبر سمعته فى حياتى كلها .

ابتسمت (نشوى) فى تعاطف ، وقالت :

ـ ولكن لن يمكنك نشره .

تنهدت (مشيرة) ، وقالت :

ـ ومن لديه الرغبة فى العمل الصحفى ، بعد كل ماحدث .

ربتت (نشوى) على كتفها مرة أخرى ، وهى تقول :

ـ اطمئنى يا (مشيرة) .. قلبى يحدثنى أن الجميع سينجون بإذن الله .

تنهدت (مشيرة) مرة أخرى ، وقالت :

ـ كم أتمنى هذا .

ثم سألتها بغتة :

ـ ولكن أين أمك ؟.. أين (سلوى) ؟

ابتسمت (نشوى) ابتسامة باهتة ، وقالت :

ـ إنها تجلس أمام شاشة الراصد ، ولست أظنها تفارقها ، مادامت الشاشة تستقبل صور المنظار الفلكى ، وتنقل إليها كل مايفعله أبى ، على سطح القمر ..

وكانت (نشوى) على حق ..

لقد التصقت (سلوى) بمقعدها ، أمام شاشة الراصد ، تراقب قفزات (نور) و(رمزى) ، وهما يستخدمان طريقة (الكنغر) ، فى محاولة لبلوغ سجن القمر ، قبل نفاد مالديهما من أكسجين ..

ومن أعماقها ، راحت تدعو لهما بالنجاح ، وهى تتشبث بمقعدها ، متمتمة :

ـ هيا يا (نور) .. هيا يا (رمزى) .. اصمدا وواصلا ، وسيوفقكما الله (سبحانه وتعالى) .. هيا .

لم تكن تعرف احتياجهما إلى الأكسجين ، ولكن قفزهما على هذا النحو ، أنبأها بما يعانيان ، فراحت تراقبهما فى توتر وقلق .

ثم اتسعت عيناها فى رعب ..

لقد رأت حزمة الليزر الضخمة ، وهى تنطلق من قبة سجن القمر نحوهما ..

وشاهدت الانفجار الصامت ..

وصرخت :

- لا .. لا يا (نور) .. لا .

وهوى قلبها بين قدميها .

★ ★ ★

كان (نور) يقفز قفزة واسعة ، وهو يلهث فى شدة ، عندما رأى حزمة الليزر تنطلق من قبة السجن ، فانحنى بحركة غريزية ، وشعر بموجة التضاغط تأتى من خلفه ، وتدفعه إلى الأمام فى عنف ، دون أن يسمع صوت الانفجار (★) فسقط على وجهه ، وكادت خوذته تتحطم ، قبل أن يرفع رأسه فى اللحظة الأخيرة ، وتتساقط الأحجار الصغيرة حوله ..

واستمرّ تساقط الأحجار البطىء لحظات ، اعتدل (نور) بعدها ، والتفت يبحث عن (رمزى) ..

وخفق قلبه فى عنف ..

كان الدمار الذى أحدثه انفجار حزمة الليزر خلفه واضحًا .

ولم يكن هناك أثر لـ (رمزى) ..

وفى انزعاج شديد عاد (نور) أدراجه ، وهو يهتف :

- (رمزى) .. أين أنت؟

أتاه صوت واهن ضعيف ، يقول :

- هنا يا (نور) .. هنا .. أسرع .

(★) نقص الهواء والغلاف الجوى على سطح القمر ، يجعل قواعد انتقال الصوت فوقه ، مساوية أو مقاربة لقواعد انتقال الصوت فى الفراغ ، وهذا يعنى أن الصوت لاينتقل على سطح القمر أيضًا .

حدّد جهاز الاستقبال لديه مصدر الصوت ، فأسرع نحو فوهة نيزكية قريبة ، ورأى (رمزى) يتشبث بحافتها ، محاولًا إنقاذ نفسه من السقوط فى أعماقها ، وهو يقول :

- لقد دفعنى الانفجار إلى هذه الفجوة ، إننى أشعر بدوار ، وأتشبث فى صعوبة .

ألقى (نور) نظرة على قرار الفوهة ، وقال :

- يبدو أنها فوهة بركانية ، فهى تبدو شديدة العمق يا (رمزى) .

هتف (رمزى) :

- ساعدنى على الخروج من هنا يا (نور) .. إننى أتنفس فى صعوبة ، وذلك الدوار اللعين يحيط برأسى ، و ..

قفز (نور) نحو الفوهة ، وتشبث بكفى (رمزى) ، وألقى نظرة سريعة على ساعة يده ، وهو يشعر بأنفاسه تتثاقل ..

وارتجف جسده كله ..

لقد حدث مايخشاه منذ البداية ..

مخزون الأكسجين يلفظ أنفاسه الأخيرة ..

أو أنفاسهما ..

وعلى الرغم من هذا ، أمسك (نور) كفى (رمزى) فى حزم ، وحاول جذب رفيقه إلى الخارج ، و..

وانفجرت خلفه حزمة أشعة أخرى ..

ودفعته موجة التضاغط إلى الأمام ..

وأفلتت قبضتاه كفى (رمزى) ..

وأمام عينى (نور) المذعورتين ، رأى (رمزى) يهوى فى

قفز (نور) نحو الفوهة ، وتشبث بكفى (رمزى) ، وألقى نظرة سريعة على ساعة يده ..

الفجوة العميقة ، ويغيب وسط الظلام الدامس ، فصرخ :

– (رمزى) ..

نقل إليه جهاز الاتصال صوت ارتطام الخوذة بالصخور ، ثم صوت تحطم زجاجها ، فصرخ :

– لا يا (رمزى) .. لا .

ولكن صرخته استهلكت ماتبقى فى زيه من الأكسجين ..

.. ومادت به الأرض ..

وهوى ..

هوى بدوره فى فجوة عميقة ..

.. فجوة بلا قرار ..

وبلا أمل .

* * *

جلجلت ضحكة (ميرفى) داخل حجرة القيادة والمتابعة ، فى سجن القمر ، ولوّح بذراعه فى زهو وسخرية ، هاتفًا :

– انتهى .. سقط البطلان .

قهقه ضاحكًا مرة أخرى ، قبل أن ينعقد حاجباه فى شراسة ، وهو يستطرد :

– وهذا درس لكل من تسوّل له نفسه مواجهة الامبراطور .

ونهض من مقعده فى حركة حادة ، واتجه إلى جهاز الاتصال الضخم ، الذى ينقل رسائله إلى الأرض ، وضغط أزراره فى سرعة ، ثم شدّ قامته ، وفرد جسده ، ورسم على وجهه صرامة شديدة ، وهو يقول :

– من الامبراطور (ميرفى) إلى أتباعه أهل الأرض .. لقد

تجرأ اثنان منكم ، وحاولا مهاجمتى فى حصنى ، على سطح القمر .

علت الدهشة وجوه معظم سكان الأرض ، عندما سمعوا هذه العبارة ، عبر شبكة البث العالمية الهائلة ، التى يسيطر عليها (ميرفى) من القمر ، وتساءلوا : كيف نجح بشريان فى الوصول إلى القمر ، بعد أن دمّر غزاة (جلوريال) كل وسائل السفر إلى الفضاء ، وتابع (ميرفى) فى غضب شرس :

ـ ولقد سحقتهما سحقًا .

شهقت (سلوى) فى رعب ، وهى تخفى وجهها بكفيها .

إذن فقد لقى (نور) و(رمزى) مصرعهما بالفعل .

لم يكن مارأته على شاشة راصدها وهمًا ، أو خللًا فى الإرسال .

لقد لقيا مصرعهما هناك ..

على سطح القمر ..

انتزعها صوت (ميرفى) الصارم من أفكارها ، وهو يتابع :

ـ ولكن هذا العقاب لايكفينى.

هوت القلوب بين الأقدام ، والكل يستمع إلى الأمريكى ، الذى استطرد :

ـ لقد قررت أن تشمل العقوبة العالم أجمع .. ستنخفض المهلة الممنوحة لكم إلى يوم واحد .. أربع وعشرين ساعة لاغير .. وهذا يعنى أنه بقيت لكم تسع عشرة ساعة ، وبعدها سيضرب الامبراطور ضربته ، ويفرض سيطرته على الأرض .

وضرب سطح منضدة الاتصالات بقبضته ، مستطردًا فى وحشية :

ـ وبالقوة .

وانتهت الرسالة ..

وساد مع انتهائها صمت تام ، فى كل أنحاء العالم ..

صمت صنعته المفاجأة ..

وخلقه الخوف ..

وفى قاعة اجتماعات ممثلى الدول ، صاح مندوب الولايات المتحدة الأمريكية فى غضب ، وهو يشير إلى القائد المصرى :

ـ أرأيت ما فعله رجالك ؟!.. لقد زادوا من تعقيد المشكلة .

احتقن وجه القائد ، وهو يقول :

ـ ولكن لايوجد دليل مادى على مصرع رجلينا .

صاح المندوب الأمريكى محنقًا :

ـ ولكن (ميرفى) كشف أمرهما ، وهذا يعنى فشل مهمتهما ، وتناقص المهلة الممنوحة لنا بمقدار يوم كامل .. هل تدرك ما الذى يفرضه علينا هذا ؟ .. إنه يضطرنا إلى إعلان استسلامنا على الفور ، ودون إبطاء .

هتف القائد فى صرامة :

ـ محال .. حتى لو اضطرتنا الأمور إلى الخضوع لمجنون كهذا ، فلن نعلن ذلك قبل اللحظة الأخيرة .. إننا نملك تسع عشرة ساعة ، وسنبذل قصارى جهدنا لاستغلالها ، على أكمل وجه .

هبّ المندوب السوفيتى ، قائلًا :

ـ ماذا ؟! .. ألم تدرك ما قاله ذلك الرجل ، عندما سحق مبنى الأمم المتحدة الجديد ، بعد دقيقة واحدة ، وهو الذى منح

العاملين فيه خمس دقائق ؛ لإخلاء المبنى ؟!.. إنه يمنحنا تسع عشرة ساعة ، ولكنه يتوقع خضوعنا بعد خمس ساعات على الأكثر ، ولاينبغى أن نضيع لحظة واحدة .

ضرب القائد مسند مقعده فى حزم ، وهو يقول :

- فليكن .. أعلنوا أنتم استسلام دولكم ، وأعلنوا أيضا رفض (مصر) ، والمجتمع العربى كله الاستسلام ، وأن العرب يفضلون الموت دفاعا عن ديارهم وحريتهم ، عن الحياة فى نير إمبراطور مجنون .

واندفع مغادرًا القاعة فى غضب ، فهتف المندوب الأمريكى :

- أحمق .. هكذا العرب دائما ، لايقدرون الخطر ، إلا بعد الوقوع فيه .

غمغم المندوب البريطانى :

- ولكنهم يمتلكون كرامة قوية ، تمنعهم من الخضوع لبشر لايقتنعون به .

لوّح المندوب الأمريكى بكفه ، هاتفًا :

- هراء .. إننا هنا لبحث مصير الأرض ، وبلادى على أتم الاستعداد للاعتراف بالامبراطور الجديد ، ولو على سبيل المناورة ، حتى يمكننا العثور على وسيلة لتحطيمه .. هيا .. من يوافق على هذا؟

ران الصمت بعض الوقت على القاعة ، ثم لم يلبث مندوب (إيطاليا) أن قال فى تردد :

- ولم لا ننتظر بالفعل ، حتى اللحظة الأخيرة ؟

هتف المندوب السوفيتى :

- قلت لكم إنه يمنحنا بالفعل خمس ساعات ، وليس تسع عشرة ساعة .

قال المندوب البرازيلى فى صرامة :

- فليكن .. سننتظر هذه الساعات الخمس .. من يدرى ما الذى يمكن أن يحدث ، فى خمس ساعات؟

نعم .. من يدرى؟

* * *

٧ـ الملائكة ..

ظلام دامس أحاط بكل شيء ..

عقل (نور) ..

ذاكرته ..

حياته كلها ..

لقد سقط في الفجوة ، وهو فاقد الوعي ، وأحاط به هذا الظلام الدامس ، وانتهى كل شيء ، و ...

وفجأة استيقظ عقله ..

استيقظ في بطء وهدوء ، وتسلل إلى أذنيه صوت موسيقى عذب ، يزخر بالدعة والرقة والهدوء ، يقول :

ـ حمدًا لله .. لقد نجوت .

شعر (نور) بالدهشة ، وفتح عينيه في بطء ، وشعر ببعض الآلام في حدقتيه لحظة ، ثم لم يلبث أن أدرك ما أمامه ..

كان يرقد داخل حجرة واسعة ، لها جدران من المرمر الشفاف ، وإلى جواره وعاء أنيق ، من مرمر سماوي ناعم ، تتألق وسطه زهور من الماس ، تتألق كنجوم صغيرة ..

وأمامه كان يقف ذلك المخلوق الرائع ، بملامحه الشديدة الوسامة والرقة ، في ثوب أبيض ، له خيوط لامعة في هدوء ، ومن خلف ظهره يبرز جناحان كجناحي حمامة بيضاء ضخمة ، وعلى فمه الدقيق الصغير ارتسمت ابتسامة رقيقة ، لها صفاء عينيه الشفافتين ، وهو يضيف :

ـ كم تسعدني رؤيتك مرة ثانية .

اتسعت عينا (نور) عن آخرهما ، قبل أن يهتف في سعادة :

ـ (فان) .. أهو أنت يا (فان) ؟

ربتت ذلك المخلوق الملائكي على كتفي (نور) في رقة متناهية ، وهو يقول :

ـ نعم .. هو أنا أيها الرائد (نور) .. من حسن حظي أن التقينا مرة أخرى ، وكلانا على قيد الحياة ..

هتف (نور) :

ـ ولكن ماذا حدث ؟.. وأين أنا ؟

ابتسم (فان) ابتسامة رقيقة هادئة ، وقال :

ـ إنك هنا أيها الرائد .. في (لونا) .

استعاد (نور) في سرعة ذكريات مغامرته السابقة مع (فريقه) ، في تلك المدينة القمرية الخفية (لونا) (*) ، وهتف :

ـ ما الذي أتى بي إلى هنا ؟

أجابه (فان) ، برقته المتناهية :

ـ لقد سمعنا تلك الانفجارات ، التي حدثت على السطح .. صحيح أن الصوت لا يُسمع في أعلى ، ولكن عالمنا يعتمد على الهواء ، والصوت ينتقل فيه بوضوح كامل .. ولقد أزعجنا الصوت للغاية ، فأجهزتنا اعتادت أصوات النيازك ، التي ترتطم بالسطح ، ولكن أصوات الانفجارات تختلف كثيرًا ، لذا فقد أدركنا أن شيئًا ما يحدث على السطح ، فهرعت فرقة من فرقنا إلى موقع الانفجار ، وعندما كانوا يجتازون أحد الممرات السفلية السرية ،

(*) راجع قصة (سجن القمر) ... المغامرة رقم (٤٨) .

سقط زميلك وتحطمت خوذته ، وسقطت أنت بعده فاقد الوعى ، وكان لابد من التحرّك فى سرعة ، لإنقاذكما معًا .

هتف (نور) :

ـ وأين (رمزى) ؟

أجابه (فان) :

ـ فى حجرة الرعاية الطبية الفائقة .. إنه لن يستعيد وعيه بسرعة مثلك ، فتحطم خوذته عرّضه لكل متاعب الانخفاض المباغت للضغط ، ولولا أن فريقنا كان يمتلك المعدات اللازمة ، لإنقاذه خلال ثوان معدودة ، للقى مصرعه على الفور .

ارتجف صوت (نور) ، وهو يقول :

ـ أهناك أمل فى نجاته ؟

أومأ (فان) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ بإذن الله (سبحانه وتعالى) ، ولكن هذا سيحتاج إلى بعض الوقت .

تنهّد (نور) ، وقال فى ارتياح :

ـ حمدًا لله .

ثم لم يلبث النشاط أن دبّ فى جسده بغتة ، فتابع فى لهفة :

ـ اسمع يا (فان) .. من حسن الحظ أن فريقكم نجح فى إنقاذنا ، فمصير الأرض كلها قد يتوقّف على هذا .

ردّد (فان) فى حيرة :

ـ مصير الأرض ؟

أشار (نور) بسبّابته إلى أعلى ، وقال فى انفعال :

ـ نعم يا (فان) .. فهناك ، على سطح القمر ، يوجد شخص

عدوانى مجنون ، هو نفسه الذى حاول قتلنا ، ويحاول الآن السيطرة على كوكب الأرض كله ، ولابد من إيقاف هذا الرجل يا (فان) .. لابد

تردّد (فان) لحظات ، ثم قال :

ـ وما الذى يمكننى فعله ؟

أمسك (نور) كتفيه ، وقال :

ـ ساعدنى يا (فان) .. لابد أن يسعى كل شعب القمر لمساعدتى فى القضاء على ذلك المجنون ، قبل أن ينجح فى السيطرة على الأرض .

اتسعت عينا (فان) فى هلع ، وهو يقول :

ـ القضاء عليه ؟!.. أنت تعلم أننا لن نساعدك على هذا أبدًا يا (نور) .. إننا شعب هادئ مسالم .

هتف (نور) :

ـ ولكنك قتلتها من قبل يا (فان) .. القتل أمر بغيض ، ولكنه يصبح أمرًا حتميًا عندما يكون الهدف منه هو إنقاذ الضحايا الأبرياء .. أنا نفسى أبغض كل وسائل العنف والتدمير ، ولكن ماذا أفعل حيال وغد كهذا ؟

اتسعت عينا (فان) أكثر وأكثر ، فتابع (نور) فى حدة :

ـ لاتضيع الوقت يا (فان) .. لابد من معاونتى .. لابد .

بقى (فان) لحظات متطلعًا إلى وجهه (نور) ، ثم لم يلبث أن هزّ كتفيه ، وحرّك رأسه ، وهو يرفرف بجناحيه الكبيرين فى خفوت ، وغمغم :

ـ لايمكننى اتخاذ قرار فى هذا الشأن ، أيها الرائد الأرضى .. الحكيم الأكبر وحده يمكنه هذا .

التقى حاجبا (نور) فى صرامة، وهو يقول فى لهجة خاصة، تشف عن أهمية خطورة الأمر :

ـ إذن فلابد أن ألتقى بالحكيم الأكبر يا (فان) .. دون إبطاء .. إنه الأمل المتبقى للأرض .. الأمل الأخير .

★ ★ ★

امتلأت نفس (ميرفى) بالزهو والقوة، وبدا له أنه بالفعل أقوى وأعظم مخلوق بشرى، ووقف وسط ترسانة الأسلحة الضخمة، على سطح القمر، وهو يلوّح بكفيه، ويقول فى حماس :

ـ أنا أعظمهم بلا منازع .. أنا وحدى أستحق لقب الامبراطور .. إمبراطور الأرض .

أطلق عدة ضحكات جنونية عالية، واتجه إلى شاشات الرصد الخمس، وأشعلها كلها فى آن واحد، فنقلت إليه صور مقار الرياسة، فى الولايات المتحدة الأمريكية، و (روسيا)، و (مصر)، و (انجلترا)، و (فرنسا)، واتسعت ابتسامته فى زهو أكثر، وهو يقول :

ـ هؤلاء الأغبياء يتصوّرون أننى سأمنحهم كل الوقت .. يا لهم من حمقى !.. سأبدأ هجومى بعد ساعتين فحسب، وسأسحق هذه المقار الخمسة، وأسحق معها رؤساء أكبر خمس دول فى الأرض ..

قهقه ضاحكا، وقال :

ـ لن يضرّ هذا إمبراطوريتى كثيرًا، فلن تكون هناك حاجة إلى الرؤساء، فى عهد الامبراطور الجديد .. سأحكم كل شىء

وحدى .. من هنا .. من القمر الامبراطورى .. مقر الحكم الوحيد .

كان يضحك على نحو جنونى، ثم لم يلبث أن ضغط زر ساعة توقيت خاصة. فبدأت ساعة اليكترونية فى العمل عكسيًا، بدورة تنازلية. بدات بالاشارة إلى ساعتين من الزمن، ثم راحت الثوانى تتناقص تدريجيًا. و (ميرفى) يتطلع اليها بعينين اشتعلتا بالشهوة والوحشية والزهو. وهو يقول :

ـ هذا كل ما تبقى لكم يا أهل الأرض. قبل بداية العهد الجديد .. عهد الامبراطور (ميرفى) ..

وتفجرت ضحكته ترج المكان ..

★ ★ ★

جلس الحكيم الأكبر فى نهاية قاعة قصره الواسعة، فوق عرش مرمرى أخضر، بدا متناسقًا مع ثوبه وبشرته ولحيته، بألوانها البيضاء الناصعة، وتطلع الحكيم الأكبر إلى (نور) فى وقار ومهابة، قبل أن يلوّح بكفه فى رقة. قائلا :

ـ لا يا ولدى .. ما تطلبه مستحيل. ويخالف قوانيننا كلها.

هتف (نور) معترضًا :

ـ ولكنه سيسيطر على الأرض .

أجابه الحكيم الأكبر :

ـ أنتم جنيتم على أنفسكم يا ولدى .. صنعتم أسلحة الدمار، وأنفقتم عليها المليارات، واحتفظتم بعدد هائل منها هنا، ومن عاش بالسيف مات به يا ولدى .. أنتم تدفعون الآن ثمن تجاهلكم لدموع الجياع والعراة والبؤساء، وتجنيد الجزء

بدا متناسقًا مع ثوبه وبشرته ولحيته ، بألوانها البيضاء الناصعة وتطلّع الحكيم الأكبر إلى (نور) فى وقار ومهابة ..

الأكبر من مواردكم لإنتاج أسلحة الموت والخراب .

قال (نور) فى حدة :

ـ لسنا هنا لمناقشة المشكلة فلسفيًا أيها الحكيم الأكبر .. إن كوكبى يواجه خطرًا داهمًا ، ومن واجبى أن أبذل قصارى جهدى لإنقاذه .

هزّ الحكيم رأسه فى هدوء ، وقال :

ـ يؤسفنى هذا ياولدى ، ولكن مجلس الحكماء اتخذ قرارًا حاسمًا ، منذ بضع سنين ، بعدم التدخل فى حروب ومشكلات الغير .. كل ما يمكننا منحك إياه هو سفينة فضائية صغيرة ، يمكنها نقلك مع زميلك إلى الأرض ، بعد إصلاح زى الفضاء الخاص بكما .

هتف (نور) :

ـ ولكن ..

قاطعه الحكيم فى حزم رقيق :

ـ هذا قرارى الأخير ياولدى .

تراجع (نور) محنقًا ، وتطلّع إلى وجه الحكيم لحظات ، ثم قال بغتة :

ـ هل يمكننى استعادة الزى الفضائى الخاص بى الآن .

قال الحكيم الأكبر فى هدوء :

ـ بالطبع يا ولدى .. إنه يخصك .

قال (نور) فى حزم :

ـ هذا يكفينى .

واستدار يغادر القاعة مع (فان) ، الذى خفقت أجنحته لحظة فى قلق ، قبل أن يسأل (نور) :

ـ ماذا تنوى أن تفعل ؟

أجابه (نور) فى صرامة :

ـ سأنفذ واجبى ، مهما كان الثمن .. سأعود إلى السطح ، وأواجه ذلك الحقير .

قال (فان) فى قلق :

ـ ولكن قوانيننا تمنعنا من منحك أية أسلحة .

أجابه (نور) فى عناد :

ـ لست أرغب فى أية أسلحة .. كل ما أريده خزان أكسجين جديد لزى الفضاء ، وطريق يقودنى إلى أقرب نقطة إلى سجن القمر .

تردد (فان) لحظة ، قبل أن يقول فى حذر :

ـ الواقع أنه هناك طريق ، يقود إلى داخل قبة السجن ، و ..

قاطعه (نور) فى لهفة :

ـ حقًا ؟!

ارتبك (فان) ، وأسرع يقول ، وكأنه يقدم اعتذارًا :

ـ عندما ثار المجرمون ، وتركوا القمر ، تركوا خلفهم عددًا من القتلى .. صحيح أننا لا نميل إلى التدخل فى شئونكم ، ولكننا رأينا من واجبنا أن نعمل على دفن جثث الموتى ، و ...

قاطعه (نور) مرة أخرى :

ـ أين هو هذا الطريق يا (فان) .. قدنى إليه .. أسرع .

ارتبك (فان) أكثر ، وغمغم :

ـ لست أميل إلى العنف أيها الرائد ، ولكن ..

هتف (نور) ، وهو يقاطعه للمرة الثالثة :

ـ قدنى إلى ذلك الطريق يا (فان) ، واترك العنف كله بعد هذا

لى وحدى .. لو اضطرنى الأمر لذلك .. المهم أن تنجو الأرض يا (فان) .. صدقنى .. هذا هو المهم .

* * *

أشارت الساعة الإليكترونية التنازلية ، فى مقر قيادة (ميرفى) ، إلى بقاء ساعة واحدة ، قبيل موعد التدمير ، وابتسم (ميرفى) ابتسامة عريضة ، وهو يربت على صدره ، قائلًا :

ـ ساعة واحدة ويتحقق الحلم .. لاريب أن بيانات الاستسلام ستتوالى بلا توقف ، بعد أن أسحق مقار قيادة أقوى خمس دول ، فى القرن الحادى والعشرين .. ساعة واحدة وأصبح أول إمبراطور للأرض كلها ، ويمكننى أن ..

قطع عبارته أزيز خافت ، جعله يلتفت فى حركة حادة إلى شاشة المراقبة ، المسئولة عن متابعة فناء السجن ، وارتفع حاجباه مع اتساع عينيه فى ذهول ، وهو يهتف :

ـ مستحيل !..

كانت الشاشة تنقل إليه صورة (نور) ، فى زيه الفضائى ، وهو يخرج من فجوة خفية ، فى ركن الفناء ، ويلتصق بالجدار فى حذر ، وهو يسير نحو أحد الأبواب ، التى تقود إلى داخل السجن ..

وفى مزيج مدهش ، من الحنق والدهشة والذهول والغضب ، صاح (ميرفى) :

ـ أى شيطان هذا ؟!.. ألا يموت ذلك المصرى أبدًا ؟!

اختطف بوق جهاز الاتصال ، فى حركة حادة عنيفة ، من شدة حنقه ، وصاح فى غضب :

- لست أدرى كيف نجوت ، فى المرتين السابقتين ، أيها المصرى ، ولكننى فى هذه المرة سأسحقك سحقا .

كان ينتفض غضبا ، وهو يضغط أزرار مدافع الليزر ، الموجهة إلى الفناء ، وانهالت خيوط الأشعة القاتلة على (نور) ، الذى أدرك أن (ميرفى) قد كشف أمره ، فتجاهل كل قواعد الحذر ، وانطلق يعدو عبر الفناء ، نحو أقرب الأبواب إليه ..

ومن حسن الحظ أن (ميرفى) كان يغلى غضبا ، فقد منعته ثورته من إصابة هدفه بدقة ، حتى أن (نور) نجح فى بلوغ الباب ، دون أن تصيبه طلقة ليزر واحدة ، وحطم رتاجه بضربة قدم واحدة ، ثم اندفع إلى الداخل ..

وصرخ (ميرفى) :

- لن تنجو منى بهذا .. أجهزة المراقبة تملأ كل ركن من أركان السجن .

قفز من مكانه إلى شاشة مراقبة أخرى ، ورأى فوقها (نور) ، داخل أحد الممرات ، التى تقود إلى أروقة السجن الداخلية ، وهو ينحنى لالتقاط شىء ما من الأرض ، فصوّب مدفعا ليزريا داخليا إليه ، فى دقة هذه المرة ، وقال فى وحشية :

- هذه هى نهايتك الفعلية أيها المصرى .. الوداع .. الوداع هذه المرة إلى الأبد .

وضغط زر مدفع الليزر .

* * *

٨ـ الصراع ..

لم تدر (سلوى) أبدا كم قضت من الوقت ، وهى تبكى بكل هذه الحرارة ..

لم تدر حتى كم ذرفت من الدموع ..

لقد رأت (نور) يهوى داخل الفجوة خلف (رمزى) ، فاندفعت إلى حجرتها ، وظلت تبكى بكل ما فى قلبها من لوعة ومرارة ..

ولكن فجأة ، اقتحمت (نشوى) حجرتها ، وهى تهتف فى انفعال جارف عنيف :

- لقد نجا يا أمى .. نجا .

خيّل إليها أن كل دموعها قد جفت فجأة ، وهى تلتفت إلى (نشوى) ، هاتفة :

- نجا ؟!.. من تقصدين ؟

قفزت (نشوى) إلى جهاز التليفديو ، المجاور لمكتب أمها ، وأشعلته هاتفة :

- الفلكى (جابر) يريد التحدث إليك .

ظهرت صورة (جابر) على الشاشة ، وهو يلوّح بذراعيه ، هاتفا :

- لقد نجا يا سيدتى .. نجا .. أنا رأيته بنفسى .

سألته فى انفعال :

- من تقصد ؟

صاح :

- (نور) .. الرائد (نور) .

صرخت (سلوى) ، بكل اللهفة فى أعماقها :

- (نور) نجا .. كيف ؟.. كيف عرفت ؟

هتف :

- معجزة .. أقسم إنها معجزة .. لقد رأيته مثلك يسقط مع رفيقه ، فى تلك الفجوة العميقة المظلمة ، وتصورت أنه لقى مصرعه ، ولكننى كنت أراقب سجن القمر منذ دقائق ، طبقا للأوامر ، ورأيت المعجزة .. معجزة حقيقية يا سيدتى .. لقد رأيت ملاكا يعاونه ، على الخروج من فجوة خفية فى فناء السجن .

رددت (نشوى) فى دهشة :

- ملاك ؟!

هتف (جابر) :

- نعم .. ملاك .. أقسم إننى رأيت هذا .. ملاك كالذى نراه فى كل الرسوم القديمة .

برقت عينا (سلوى) ، واستعاد ذهنها ، فى لحظة واحدة ، كل تفاصيل مغامرة القمر ، وهتفت :

- (فان) .

سألتها (نشوى) فى دهشة بالغة :

- من (فان) هذا ؟.. أو ما هو ؟.. ما الذى يحدث ؟

أمسكت (سلوى) كتف ابنتها فى انفعال ، وهتفت :

- سأشرح لك كل شىء فيما بعد يا (نشوى) .. المهم أن والدك قد نجا .

سألت (نشوى) فى قلق :

- وماذا عن (رمزى) ؟

أجابها (جابر) ، عبر جهاز التليفيديو :

- لم أر أى أثر له يا بنيتى .. يؤسفنى هذا .

ارتجفت شفتا (نشوى) ، وهى تقول :

- لم تر أى أثر له ؟!.. أيعنى هذا أنه .. أنه .. ؟

قاطعتها (سلوى) ، وهى تقول منفعلة :

- المهم الآن أن نبلغ القائد الأعلى بهذا التطور الخطير .. أنا واثقة من أن هذا سيقلب الأمور رأسا على عقب .

وكانت على حق ..

لقد تلقى القائد رسالة الفلكى (جابر) ، ورسالة (سلوى) ، وقرأهما فى إمعان ، ثم اندفع عائدا إلى القاعة ، التى يجتمع فيها مندوبو دول العالم ، ولم يكد يبصر المندوب الأمريكى يقع عليه ، حتى ارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة ، وقال :

- أراهن أن دولكم العربية قررت الاستسلام يا رجل .. أليس كذلك ؟

أجابه القائد فى حزم :

- خطأ أيها الأمريكى .. إنما عدت لأخبركم أن أحد رجلينا على القمر قد نجا .

علت الدهشة الوجوه ، وسرت همهمة بين الحاضرين ، فى حين عقد المندوب الأمريكى حاجبيه ، وقال :

ـ ألديك دليل على هذا ؟

ابتسم القائد فى ثقة ، وقال :

ـ بالطبع .. هناك شرائط مسجلة ، وشهود عيان ، وكل شىء . المهم أن رجلنا الذى نجا ، هو شخص تعرفونه جميعًا .

أدار عينيه فى وجوههم لحظة ، ثم قال :

ـ (نور) .. الرائد (نور الدين محمود) .

هتف البعض فى انبهار :

ـ قائد التحرير ؟!

أجابه القائد ، وقد عجز عن كتمان رنة الزهو فى أعماقه :

ـ نعم أيها السادة .. الرائد المصرى ، الذى حرّر الأرض من غزاة (جلوريال) ، ومن الآثار المدمّرة لقنبلة (جاما) ، والذى يخوض الآن ، على سطح القمر ، صراعًا رهيبًا ، فى سبيلكم جميعًا .. فى سبيل الأرض ..

* * *

لحظة واحدة ، قلبت مجرى الأحداث ..

كانت سبّابة (ميرفى) تتجه نحو زر إطلاق مدفع الليزر ، المصوّب بدقة إلى (نور) ، عندما تغيّر كل شىء فى لحظة واحدة ..

لحظة اعتدل فيها (نور) ، وقذف شيئًا ما نحو آلة التصوير ، التى تنقل الصور إلى الراصد ، فى حجرة المراقبة ..

كان ذلك الشىء حجرًا صلبًا ، أصاب هدفه فى مهارة ، فتحطمت عدسة آلة التصوير ، واختفت الصورة من شاشة المراقبة ..

وفى اللحظة التالية ضغط (ميرفى) زر الإطلاق ..

وانطلقت الأشعة القاتلة ..

انطلقت ولكنها لم تصب (نور) ، الذى ألقى الحجر وقفز جانبًا ، وانطلق يعدو فى أوّل ممر أمامه ، وهو يلتقط حجرًا آخر ، من الأحجار المتخلّفة عن الدمار ، الذى أحدثه المجرمون ، فى ثورتهم داخل سجن القمر ..

وبضربة أكثر مهارة ، أصاب آلة تصوير أخرى ، وأخمد شاشة مراقبة ثانية ..

وصرخ (ميرفى) فى جنون :

ـ لن تنجو أيها المصرى .. لن تنجو أبدًا .

راح يضغط الأزرار فى ثورة ، دون تصويب أو تحديد ، وراحت أشعة الليزر تضرب جدران السجن ، فى أماكن عشوائية ، ولكن (نور) كان قد تجاوز مرمى الرماية ، ودلف إلى مبنى الحراسة ، الملحق بالسجن ، فتضاعفت ثورة (ميرفى) ، وصرخ :

ـ استسلم أيها المصرى .. استسلم لامبراطور الأرض .. إننى آمرك بذلك .

كان من الواضح أن جنونه وثورته يتفاقمان ، وأنه سيصبح ، مع مرور الوقت ، أشبه بثور هائج طليق ، يحمل كل قرن من قرنيه قنبلة شديدة التدمير ، إلا أن (نور) واصل

المكان ، حتى سمع (ميرفى) يصرخ :

ـ لا أمل لك .. حتى لو ذهبت إلى نهاية العالم .. أعلم أنك تحاول بلوغ مخزن الذخيرة ، ولكن هذا مستحيل .. لقد أحطته بمجال كهرومغناطيسى قوى ، سيقتل كل من يقترب منه .

ثم أشعل إحدى شاشات الرصد ، التى تراقب الأرض ، وراح يضغط أزرارها فى ثورة عصبية ، وهو يتابع :

ـ تظن أنك تقاتل من أجل الأرض ، كما فعلت سابقًا .. أليس كذلك ؟.. حسنًا أيها البطل الوهمى .. تلك الأرض التى تضحى بنفسك من أجلها ، ستعلن استسلامها لى ، بعد سبع وأربعين دقيقة من الآن ، أتعلم لماذا ؟..

لم يكن ينتظر جوابًا ؛ لأنه واصل فى ثورة :

ـ لأننى سأسحق مقار الرياسة ، فى خمس دول كبرى ، بعد هذه الفترة ، ولن تجرؤ دولة واحدة بعدها فى رفض الخضوع لى .

غمغم (نور) فى سخط ، وهو يلهث داخل إحد الممرات :

ـ يالك من حقير !

نقلت إليه مكبرات الصوت ، المنتشرة فى كل مكان ، صوت (ميرفى) ، وهو يصرخ :

ـ أتعلم ماذا أرى أمامى الآن ، على شاشة المراقبة الأرضية ؟.. أرى واحدًا من بيوت المسنين ، التى تقيمونها .. لست أدرى لماذا تهتمون بهؤلاء الشيوخ ، الذين يعانون المرض والآلام ؟

وأطلق ضحكة جنونية مجلجلة ، قبل أن يتابع :

ـ حسنًا أيها البطل .. سيدفع هؤلاء المسنون ثمن

حماقاتك .. سأسحق بيتهم هذا سحقًا ، وأريحهم من عذاب الشيخوخة والمرض .

تجمَّد (نور) فى مكانه ، وسمع الضحكة الثانية ، التى أطلقها (ميرفى) ، وهو يضغط زر مدفع الليزر العملاق ..

وانطلقت حزمة الليزر الهائلة ، وشقَّت طريقها نحو الأرض بسرعتها القياسية ..

ثم هوت على بيت المسنين ..

هوت دون إنذار أو رحمة ..

وأمام عيون المئات ، على كوكب الأرض ، انسحق البيت سحقًا ..

انهار ..

تحطَّم ..

سار أثرًا بعد عين ..

عشرات المسنين لقوا حتفهم ..

لم تنطلق صرخة واحدة ممن صرعتهم صاعقة الليزر ..

لم يجدوا الوقت ليطلقوا صرخة واحدة ..

ولكن كل من شاهد تلك الكارثة الرهيبة ، أطلق صرخة لوعة وذعر ودهشة وأسى ..

(ميرفى) وحده أطلق صرخة فرحة شامتة ظافرة ..

صرخة يخجل الشيطان نفسه من إطلاقها ، أمام مأساة كهذه ..

أطلقها وهو يهتف :

ـ أرأيت أيها المصرى .. أرأيت .. لقد سحقته .. سحقته سحقًا .

اعتصر الألم قلب (نور) ، الذى خفق بين ضلوعه فى أسى ومرارة ، وارتجف لسانه فى حلقه ، وهو يقول :

ـ لقد فعلها .. فعلها ذلك الوغد الحقير ..

تجمّد (نور) فى مكانه ، وسمع الضحكة الثانية ، التى أطلقها (ميرف) ، وهو يضغط زر مدفع الليزر العملاق ..

كان يتمنى لو جلس القرفصاء ، وانخرط فى بكاء حار ، على كل هؤلاء الأبرياء ، الذين أريقت دماؤهم على يد وغد مجنون ..

ولكنه لم يفعل ..

اجترّ عذابه وآلامه ومقته ولوعته ، واختزن مرارته فى قلبه ، وهو يواصل طريقه عبر الممرات ، وصوت (ميرفى) يجلجل فى المكان :

ـ إنها البداية فحسب .. مجرّد البداية .. سأفعل ما هو أشد هولًا ، لو لم تستسلم على الفور .

تجاهله (نور) ، وهو يجرّ قدميه جرًا داخل الممرات ، فى حين تابع هو :

ـ إنك لن تهزم (ميرفى) أبدًا .. (ميرفى) هو الأقوى .. هو الامبراطور .

ثم عدّل إحداثيات الراصد ، فانتقلت الرؤية إلى دولة أخرى ، من دول العالم ، فحصها براصده فى سرعة ، حتى توقّف عند نقطة أخرى وقال :

ـ مشهد رائع أيها المصرى .. إنه مستشفى بدائى صغير فى (فرنسا) .. مستشفى للنساء فقط .

وأطلق ضحكة جنونية أخرى ، قبل أن يستطرد :

ـ هل سبق لك أن رأيت نساء يحترقن ؟

وضغط أزرار جهاز دفاعى آخر ، فانطلقت كرتان من مادة صلبة ، من مدفع عملاق آخر ، واتجهتا فى سرعة مقاربة لسرعة الضوء نحو الأرض ، و (ميرفى) يقول فى تشف :

ـ دقائق وتصل الكرتان إلى هدفهما أيها المصرى .. إنهما ستتحولان إلى كرتين من اللهب ، عند عبورهما الغلاف الجوى الأرضى ، وستهويان على المستشفى مباشرة .

اعتصر (نور) أحزانه فى قلبه مرة أخرى، وتوقف عند باب كبير راح يفحص رتاجه فى اهتمام، ثم أخذ يعالجه فى سرعة، و (ميرفى) يصرخ:

– لقد بلغتا الغلاف الجوى الأرضى بالفعل .. إنهما تتحولان إلى جمرتين مشتعلتين عملاقتين .. انظر .. إنهما تهويان على المستشفى بالفعل .. جميل هو مشهد الأجسام المشتعلة بالنيران، وأصحابها يعدون فى كل مكان، طلبًا للرحمة .. أيروق لك سماع صرخات النساء ؟

أوصل مسماع الراصد بجهاز الاتصال الداخلى، وانطلقت داخل السجن صرخات مروعة، نقلتها مكبرات الصوت، كلوحة مأساوية حية، للعذاب والألم والرعب ..

كان (ميرفى) هذا شيطانًا بحق ..

شيطانًا يأبى إلا أن ينتصر ..

ومهما كان الثمن ..

وكان قلب (نور) يتلوى بين أضلاعه فى عذاب، ويتأوه فى ألم، مع ما يسمعه، ولكن (نور) كان يعلم أن استسلامه لن ينقذ أحدًا. بل ربما يزيد الأمور سوءًا ..

إن (ميرفى) هذا يقتل العشرات الآن، دون رحمة، ولن يمنعه حكم الأرض، من الاستمتاع بتعذيب الآخرين ..

إنه كتلة من السادية والجنون (*).

(*) السادية: مرض نفسى خطير، يميل صاحبه إلى تعذيب الآخرين، ويجد متعته فى سماع تأوهاتهم وصرخات الألم منهم، والمصطلح ينسب إلى المركيز (دى ساد)، الذى كان أول من استمتع بتعذيب الآخرين تاريخيًا.

وبلوعة لا تدانيها لوعة، واصل (نور) عمله، على الرغم من كل العذاب، الذى يشعر به قلبه ..

كان يعلم أنه أمل الأرض الأخير، وأن واجبه يحتم عليه القتال، حتى آخر رمق، مهما كان الثمن، ومهما كانت التضحيات ..

صحيح أن (ميرفى) يقتل العشرات بلا رحمة الآن، ولكن سيطرته على الأرض تعنى ضياع أضعاف أضعاف هذا العدد ..

ضياع الملايين ..

ضياع الحرية ..

والأمل ..

إنه سيواصل ..

سيواصل عمله، مهما فعل (ميرفى) ..

ولكن الدماء تجمدت فى عروقه، عندما سمع هذا الأخير يقول:

– إنها ليست النهاية .. إن راصدى يلتقط صورة تصف الأرض، وسأجد عشرات الأهداف الجميلة، التى يمكننى تدميرها، ما دمت مصرًا على مقاومتى .. هذا المشهد أمامى مثلًا .. إنها روضة أطفال .. ياله من هدف رائع !

وصرخ (نور) فى أعماقه:

– لا .. ليس الأطفال أيها الحقير.

ولكن (ميرفى) أطلق ضحكة شامتة، وقال:

– قل وداعًا لهؤلاء الصغار أيها المصرى ..

وضغط زر مدفع الليزر بلا رحمة ..

★ ★ ★

ضرب المندوب الأمريكى سطح منضدة الاجتماعات فى شدة ، وهو يهتف فى انفعال :

- إلى متى سننتظر أيها السادة ؟.. لقد أصيب الرجل بالجنون ، وها هو ذا يبيد بيوت المسنين ، والمستشفيات ، ورياض الأطفال .. هل سننتظر حتى يقتلنا جميعًا .

أجابه القائد :

- إنه حقير .. يقتل الشيوخ والنساء والأطفال ، بلا ضمير أو رحمة .

صرخ المندوب الأمريكى :

- وما الذى تنتظره منه .. لقد بدأ ضربته بعد ثلاث ساعات واثنتى عشرة دقيقة .. إنه حتى لم ينتظر مرور الساعات الخمس ، كما اقترح أحد الزملاء .. لا أيها السادة .. لقد قررت بلادى إعلان استسلامها .

قال المندوب السوفيتى :

- وبلادى أيضًا .

وافقهما كل المندوبين تقريبًا ، ما عدا القائد ، الذى قال :

- بصفتى مندوبًا عن دول الشرق الأوسط ، فأنا أرفض إعلان الاستسلام ، قبل أن نتأكد من فشل رجلنا على القمر .

صرخ المندوب الأمريكى :

- تتأكدون ؟!.. تتأكدون من ماذا أيها العربى ؟. إن ذلك الوغد يقصف أى هدف ، كل خمس دقائق ، دون تمييز ..

أراهنك أنه كان سيقتلنا بلا رحمة ، لولا أننا نجتمع فى مكان سرى كهذا .

أشار إليه القائد ، قائلاً فى حدة :

- أرأيت ؟.. أنت وصفته بالوغد .. كيف ترضى أن يحكمك وغد ؟

ضرب الأمريكى سطح المنضدة مرة أخرى ، صائحًا :

- فليحكمنى الشيطان نفسه ، لو أنه سيبقى على حياتى .

هبَّ القائد من مقعده ، هاتفًا :

- إننى أرفض هذا المبدأ .

لوّح الأمريكى بيده ، وصاح :

- ومن سيستمع إليك ؟

أوقفهما المندوب البريطانى ، وهو يقول فى حسم :

- مهلاً أيها السادة .. إننا سنجرى اقتراعًا ، لمعرفة ما ينبغى علينا أن نفعله .. هل نستسلم أم ..

صمت لحظة ، ثم أضاف فى مرارة :

- أم نقبل بهذه الإبادة الجماعية ؟

وران الصمت على المكان ..

★ ★ ★

« ثلاثون دقيقة فقط ، وتستسلم الأرض .. » .

نطقها (ميرفى) فى حدة ، اختلطت بشىء من الوحشية والشماتة ، وهو يبحث فى شاشاته عن (نور) ، ثم استطرد محنقًا :

- وحتى يحدث هذا ، سنواصل لعبتنا أيها المصرى .. هيا ..

أخبرنى .. أى هدف تختار هذه المرة .. نادى السيدات فى (لندن)، أم مدرسة الأطفال فى (أمستردام)، أم ..

قاطعه صوت (نور)، عبر جهاز اتصال زيه الفضائى، وهو يقول فى غضب :

- أنت حقير يا (ميرفى) .. جبان وحقير .

تألقت عينا (ميرفى)، وهو يستمع إلى العبارة فى اهتمام ..

كان هذا هو الشىء الوحيد، الذى يمكن أن يقوده إلى (نور) ..

صوته ..

لقد أصيبت أجهزة المراقبة الداخلية بأضرار فادحة، مع ثورة المجرمين على حراس السجن، وبالذات فى جناح الحراسة، وتحطمت أجهزة الكشف الحرارى، وآلات التصوير، وكل وسائل المراقبة الأخرى ..

فيما عدا وسيلة واحدة ..

المراقبة الصوتية ..

ولهذا كان (ميرفى) ينتظر أن ينطق (نور) عبارة واحدة ..

عبارة تعمل على تشغيل أجهزة المراقبة الصوتية، وترشد إلى موقعه ..

وفى انفعال، غمغم (ميرفى) لنفسه :

- رائع .. لقد وقع فى الفخ .. كلمة واحدة إضافية، ويسقط الجرذ فى الفخ .

ثم ضغط زر الاتصال، وقال :

- من ذا الذى يصف الإمبراطور بالحقارة والجبن ؟

أجابه (نور) فى حدة :

- أنت لست حقيرًا وجبانًا فحسب، بل أنت أقذر بشرى فى الكون كله .. إنك شيطان .. شيطان يستحق القتل .

برقت عينا (ميرفى) فى شدة، عندما حددت أجهزة المراقبة الصوتية موقع (نور) بالتحديد، وقال وهو يفحص أزرار مدافع الليزر :

- ستنال جزاءك على هذا أيها المصرى اللعين .

قال (نور) :

- بل أنت الذى سينال الجزاء العادل أيها الأمريكى .. جزاء القتلة والسفاحين .

بدا الغضب على وجه (ميرفى)، عندما أنبأته الأجهزة أن كل مدافع الليزر، فى ذلك القطاع مصابة بالتلف، فانتزع مسدسه الليزرى، وهو يقول، عبر أجهزة الاتصال الداخلية :

- أتظن هذا حقًا أيها المصرى ؟.. من الواضح أنك لا تعلم أى مصير هذا، الذى ينتظر دولتك .. لقد أعددت برنامجًا حافلًا لها، فبعد ست وعشرين دقيقة من الآن، سيبدأ برنامجى آليًا، وسينطلق مدفع الليزر العملاق، نحو مقار الرياسة، فى الدول الكبرى الخمس .. وبعدها سأبيد (مصر) هذه، وأمحوها من خريطة العالم تمامًا .

أجابه (نور) فى حدة :

- أتحداك أن تفعل .. أنت حقير .. أحقر من أن تمتلك القدرة

على محو ذبابة من قائمة المخلوقات .

ابتسم (ميرفى) فى سخرية ، وهو يقول :

ـ هكذا ؟!

ثم التقط جهاز تتبع صوتى ، وهو يستطرد :

ـ إذن فأنت تختلف معى فى الأسلوب والتفكير أيها المصرى .

لم يكن يرغب حقًا فى بدء حوار مع (نور) ، وإنما كان يحاول دفعه إلى التحدث لأكبر قدر من الوقت ، حتى يتمكن جهاز التتبع الصوتى من تحديد موقعه ، وبعدها يأتى دوره هو لمواجهته، و ..

وقتله بلا رحمة ..

* * *

٩ ـ المهلة ..

اندفعت (مشيرة) إلى حجرة أطباء المستشفى ، وهى تهتف فى ذعر شديد ، وانفعال جارف :

ـ النجدة .. أريد طبيبًا على الفور .. (أكرم) يلفظ أنفاسه الأخيرة .. النجدة .

هبَّ أحد الأطباء من مقعده ، واندفع معها إلى حجرة الرعاية المكثّفة ، حيث يرقد (أكرم) و (محمود) ، ولم يكد يلقى نظرة على جسد الأوّل ، وعلى شاشات المتابعة الصحية الخاصة به ، حتى هتف :

ـ يا إلهى !.. هذا صحيح .

ثم أسرع يصيح بالممرضات :

ـ جهاز الصدمات الكهربية .. بسرعة .

تحرّك الجميع فى سرعة وتوتر ، وأسرعوا يحضرون الجهاز ، و (مشيرة) تسأل الطبيب فى ذعر :

ـ ماذا حدث ؟.. ماذا أصابه ؟

هزّ الطبيب رأسه فى حيرة ، وقال :

ـ لست أدرى .. إن وظائفه الحيوية تتدهور فى سرعة ، ولايوجد سبب منطقى لكل هذا ، فكل شىءٍ كان يسير على ما يرام .

ارتجفت شفتاها ، وترقرقت عيناها بالدموع ، وهى تقول :

ـ تعنى أنه .. أنه ..

وصل جهاز الصدمات الكهربية فى هذه اللحظة ، فاختطفه من الممرضة ، وهو يقول :

ـ لست أعنى شيئا .

دلكت الممرضة صدر (أكرم) بمادة خاصة ، ثم ألصق الطبيب قطبى الجهاز بجانبى الصدر ، وهتف :

ـ هيا .

ضغطت الممرضة زر الجهاز ، وانتفض جسد (أكرم) فى عنف ، ثم عاد يتراخى مرة أخرى ، فكرّر الطبيب المحاولة مرة ثانية دون جدوى ، وهنا هتف بالممرضة :

ـ مائة مليجرام من (الكارديو أكتيفاز) .. بسرعة .

ناولته الممرضة محقنًا خصًا ، ألصقه بصدر (أكرم) ، وضغط زرًا فى نهايتها فاندفعت إبرة المحقن تغوص فى الفراغ الضلعى الخامس للجانب الأيسر من صدر (أكرم) ، وهتفت (مشيرة) :

ـ ما هذا ؟

أجابها الطبيب ، وهو يحقن محتويات المحقن فى بطء :

ـ إنه هرمون تخليقى ، توصّل إليه الأطباء ، فى أوائل القرن الحادى والعشرين ، وهو منشط قوى للقلب .

قبل أن ينتهى من حقن السائل ، فى قلب (أكرم) مباشرة ، بدأت شاشة جهاز رسام القلب الاليكترونى تشير إلى عودة القلب للنبض ، فتنهّد الطبيب فى ارتياح ، وقال :

ـ حمدًا لله .. لقد تجاوزنا هذه الأزمة .

أطلقت زفرة حارة قوية ، وهى تكرّر :

ـ حمدًا لله .

ولكن الممرضة انحنت تفحص عينى (أكرم) فى اهتمام ، ثم قالت للطبيب فى قلق واضح :

ـ سيّدى .. هل لك أن تلقى نظرة هنا ؟

ارتجف قلب (مشيرة) مرة أخرى ، عندما انتقل قلق الممرضة إلى الطبيب ، الذى انحنى يفحص عينى (أكرم) بمصباح يدوى صغير ، قبل أن يقول :

ـ رباه !.. كنت أخشى هذا .

لم تنبس (مشيرة) ببنت شفة ..

لم تستطع النطق بحرف واحد ..

لقد تجمّدت فى مكانها مذعورة ، وقد أدركت أن (أكرم) يمرّ بمرحلة حساسة ..

وبالغة الخطورة ..

* * *

رفع المندوب الأمريكى يده ، وهو يقول فى انفعال :

ـ حسنًا .. لقد اتفقنا أيها السادة .. سنعلن استسلام كوكب الأرض للامبراطور الجديد .

بدت الوجوه شاحبة ساهمة ، وهبط على الجميع شعور ثقيل باليأس والمرارة ، دون أن يجرؤ أحدهم على الاعتراض ، بعد تلك الحملة الوحشية ، التى شنها الامبراطور الحقير ، على نساء الأرض وشيوخها وأطفالها ..

ولكن القائد المصرى قال فجأة ، قاطعًا ذلك الصمت الرهيب ، الذى ساد القاعة ، بعد عبارة المندوب الأمريكى :

- لماذا لانتروى قليلا ؟

هتف الأمريكى فى دهشة :

- نتروى ؟!.. إلى متى يا زميلى المصرى ؟.. هل ننتظر حتى يسحق ذلك المجنون عالمنا كله ؟

أجابه القائد :

- بل ننتظر حتى لانسلم قيادنا لرجل ، ننعته منذ هذه اللحظة بالجنون .

صاح الأمريكى :

- ولماذا نتروى؟.. أخبرنى بسبب واحد لهذا.. سبب منطقى .

قال القائد فى حزم :

- بالتأكيد يوجد سبب منطقى يا زميلى العزيز ، فلقد شن الإمبراطور المجنون حملة شعواء على الأرض ، راح خلالها يضرب هدفًا كل خمس دقائق بلا خلل ، ثم توقف فجأة عن هذا .

لوّح الأمريكى بكفه ، وقال :

- ربما يختار أهدافًا جديدة .

قال القائد :

- أو أن رجلنا قد نجح فى مهمته .

هتف الأمريكى ساخرًا :

- هذا أمر مستبعد تمامًا .

سأله البريطانى :

- ولماذا تستبعده ؟.. أليس رجلهم هو القائد (نور) ، الذى أنقذ كوكب الأرض مرتين من قبل .

قال الأمريكى فى صرامة :

- المصادفات لاتتكرّر ثلاث مرات .

أجابه الفرنسى :

- ولم لا ؟

بدا الغضب على وجه المندوب الأمريكى قائلاً :

- لأنها مصادفات ، ثم أننا نضيع الوقت بهذا الجدل العقيم ، والمفروض أن نعلن استسلامنا بأسرع وقت ممكن .

نهض المندوب اليابانى ، وانحنى للأمريكى فى احترام ، قبل أن يقول :

- فليعذرنى الزميل الأمريكى ، ويغفر لى سوء الأخلاق ، الذى جعلنى أسأله فى حيرة .. لماذا يصرّ الأمريكيون على الاستسلام لذلك الأمريكى فى سرعة ؟

امتقع وجه المندوب الأمريكى ، وهو يقول :

- ماذا تعنى أيها الزميل ؟

انحنى اليابانى مرة أخرى ، وقال :

- لست أعنى شيئًا بالطبع أيها الزميل المحترم ، ولكننى أطرح تساؤلاً : هل من مصلحة الولايات المتحدة الأمريكية أن يحكم العالم إمبراطور أمريكى ؟

تعلّقت العيون كلها بالمندوب الأمريكى ، الذى شحب وجهه فى شدة ، وهو يقول فى عصبية :

- لايروق لى هذا التلميح السخيف أيها اليابانى .

نهض الألمانى ، وقال فى صرامة :

- هل لنا فى معرفة السبب الحقيقى منك ؟

ارتبك الأمريكى أكثر ، وهو يقول :

ـ إن هدفنا هو المصلحة .. مصلحة العالم أجمع .. إننا نسعى إلى حقن الدماء ، و ..

قاطعه البريطاني :

ـ فى هذه الحالة ، لدى حل وسط .

سأله أحد الحاضرين :

ـ ما هو ؟

أجاب البريطانى :

ـ إننا سنعد وثيقة الاستسلام ، ولكننا لن نعلنها ، أو نبلغ الامبراطور بها . سنحتفظ بها ، حتى يتضح لنا سر توقُّف التدمير ، ولكن لو عاود الإمبراطور هجومه فسنعلن استسلامنا مع أول ضربة يضربها .

وكان الاقتراح معقولاً ..

ومقبولاً ..

★ ★ ★

سار (ميرفى) بين ممرات السجن فى حذر ، وهو يحمل جهاز التتبع الصوتى فى يده اليسرى ، ويحمل مسدسه الليزرى ، وجهاز اتصال متنقِّل فى يده اليمنى ، ويتحدَّث إلى (نور) ، قائلاً :

ـ صحيح أنك نجحت فى إنقاذ الأرض مرتين أيها الرائد ، ولكن هذا لا يعنى أنك ستنجح فى هذه المرة أيضًا ، فأنت تواجه أقوى رجل فى الأرض .

أجابه (نور) فى صرامة :

سار (ميرفى) بين ممرات السجن فى حذر ، وهو يحمل جهاز التتبع الصوتى فى يده اليسرى ..

- بل قل أحقر رجل فى الكون كله .. سفاح .. هل تفهم معنى كلمة سفاح ؟.. إنك تدركها بالتأكيد ، لأنك أكبر مثل للسفاحين والمجانين .

قهقه (ميرفى) ضاحكًا ، وهو يقول :

- ولكننى سأربح فى النهاية .

سأله (نور) ساخرًا :

- من قال هذا ؟

أجابه (ميرفى) ، وهو يتتبع الصوت فى حذر .

- أنا أقوله .

قال (نور) :

- وما دليلك على هذا ؟

توقف (ميرفى) لحظة ، وهو ينقل بصره بين مدخلى ممرين متجاورين :

- دليلى أننى الأذكى .

ردد (نور) ساخرًا :

- الأذكى ؟!.. أتظن هذا حقًا ؟

أجابه (ميرفى) ، وهو يتجه إلى الممر الأيمن ، كما أشار جهاز التتبع الصوتى الدقيق :

- النهاية ستثبت لك ذلك ، فأنا أدرس دائمًا أرض المعركة وظروفها ، بحيث لا أفشل أبدًا ، على عكسك أنت .

ردد (نور) فى ازدراء واضح :

- على عكسى أنا ؟

أجابه (ميرفى) ، وهو يخطو نحو نهاية الممر فى حذر بالغ :

- بالطبع .. إنك حتى لم تحاول فهم أو دراسة أرض المعركة ، بدليل أنك دخلت سجن القمر ، مرتديًا زيك الفضائى كاملًا ، بالخوذة وأسطوانات الأوكسجين المضغوط ، فى حين أن المناخ داخل السجن ، معدّل بحيث يطابق المناخ فى كوكب الأرض .. وأجهزة الكمبيوتر تعمل على حفظ هذا طيلة الوقت ، ومعادلة الضغط والحرارة وكمية الهواء بمثيلاتها على كوكب الأرض ، ولم تكن بك حاجة إلى زى الفضاء .

قال (نور) ، فى لهجة أقرب إلى السخرية :

- ربما كانت لدى أسبابى .

ابتسم (ميرفى) ، قائلًا :

- أو أخطاؤك .

قالها وأعاد جهاز التتبع الصوتى إلى جيبه ، بعد أن أدرك أن (نور) يتحدّث إليه من تلك الحجرة المفتوحة ، فى نهاية الممر ، وأمسك مسدسه الليزرى فى إحكام ، وهو يتحرّك فى حذر نحو الحجرة ، و (نور) يقول ، عبر جهاز الاتصال :

- ربّما ، ولكن الأمر المؤكد هو أننى تعلّمت منك درسًا .

سأله :

- أى درس هذا ؟

تنهّد (نور) ، وقال :

- كنت فى الماضى أكره القتل والتدمير ، ثم أدركت اليوم أن بعض البشر يستحقون القتل بلا رحمة ، لأنهم فى طبيعتهم أقرب شبهًا بالوحوش .. ربما كانوا أسوأ ، فالوحوش - على الأقل - لا تفترس بعضها البعض .

ابتسم (ميرفى) فى سخرية ، وهو يقترب من الحجرة أكثر ، قائلاً :

ـ إذن فأنت ترى أننى أستحق القتل .

قال (نور) ، فى لهجة حازمة صارمة ، سرت لها قشعريرة باردة ، فى جسد (ميرفى) :

ـ وبلا تفكير .

انعقد حاجبا (ميرفى) فى غضب ، وتوقف على قيد أمتار قليلة من باب الحجرة ، فى نهاية الممر ، وقال :

ـ إلى هذا الحد ؟

بدا له صوت (نور) مفعمًا بالكراهية ، وهو يقول :

ـ صدقنى أيها الأمريكى .. لأول مرة فى حياتى كلها ، أتخلى عن كراهيتى للقتل ، وأشعر أن أرواح الآف الضحايا ، الذين استمتعت أنت بقتلهم ، بلا رحمة أو شفقة ، تطالبنى بالثأر ، وبتنفيذ العدالة .

ابتسم (ميرفى) فى سخرية ، وقال :

ـ بإعدامى .. أليس كذلك ؟

قال (نور) ، بأسلوب يخالف طبيعته تمامًا :

ـ وسيسعدنى ذلك كثيرًا .

وضع (ميرفى) جهاز الاتصال فى جيبه أيضًا ، وقال :

ـ فليكن يا رائد الأرض .. أنا أيضًا يسعدنى إعدامك .

ثم قطع الأمتار التى تفصله عن الحجرة فى قفزتين سريعتين ، ثم وثب داخل الحجرة ، وصوّب مسدسه إلى الشخص الواقف داخلها ..

إلى (نور) .

* * *

١٠ ـ المواجهة ..

هزّ الطبيب رأسه فى ألم وأسف ، وهو يتحاشى النظر إلى وجه (مشيرة) ، وقال فى مرارة :

ـ لسنا ندرى ماذا أصابه ، ولكنه تعرّض لحالة عجيبة ، يصاب بها بعض المرضى ، أثناء الجراحات الدقيقة ، أو بعد إصابات عنيفة .. إنها حالة غيبوبة عميقة ، لا أحد يعلم أسبابها بعد ، ولكن المريض يبقى خلالها على قيد الحياة علميًا ، ولكنه لا يخرج من غيبوبته أبدًا .

شعر بما تحمله كلماته من يأس ، فاستدرك فى سرعة :

ـ إلا بمعجزة .

كانت (مشيرة) تقف أمامه ذاهلة ، وهى تردد :

ـ معجزة ؟!

تابع هو ، وقد أدرك ما تشعر به :

ـ المؤسف أن المصاب ، فى هذه الحالة ، لا يقضى حياته فى غيبوبة عميقة وحسب ، وإنما تبدأ خلايا مخه فى الضمور تدريجيًا ، بحيث لا تعود هناك فائدة من عودته إلى وعيه مرة أخرى .

هزّت رأسها كالمأخوذة ، وتركت جسدها يسقط على أقرب مقعد إليها ، وتمتمت :

ـ لا أمل إذن .

أجابتها طبيبة شابة :

ـ لا يمكننا أن نقول هذا .

تمتمت :

ـ أعلم ذلك .

ثم نهضت من مقعدها ، وهى تبدو أكبر من عمرها الحقيقى بعشر سنوات على الأقل ، واتجهت إلى حيث يرقد (أكرم) ، واغرورقت عيناها بدموع القهر والمرارة ، وهى تقول :

ـ كان ينبغى أن أدرك هذا يا (أكرم) .. إننى نحس ، بالنسبة لكل من يرتبط بى .

لم تدر لماذا توقعت ردًا مجاملًا منه ، على الرغم من صمته وسكونه ، اللذين أوحيا إليها بأنه قد فارق الحياة ، لولا تلك الإشارات المنتظمة ، التى ترسمها شاشات الأجهزة المتصلة بجسده ، فهوت الدموع من عينيها ، وهى تضيف :

ـ ولكنه قدرى يا (أكرم) .. قدرى وقدرك .

تركت الدموع تسيل من عينيها بعض الوقت ، ثم اعتدلت فى اعتداد ، وجففت دموعها بأصابعها ، قبل أن تستطرد :

ـ ولن أتركك وحدك أبدًا يا (أكرم) .. سأزورك يوميًا ، وأقص عليك كل ما يحدث .. فليقل الأطباء إنك قد انتهيت يا (أكرم) ، ولكنك بالنسبة إلىّ ستظلّ حيًا .. حيًا إلى الأبد .

وفى شموخ عجيب استدارت ، وغادرت الحجرة فى صمت ، دون أن تلقى نظرة أخرى عليه ..

وفى خفوت ، غمغم الطبيب :

ـ سيدة رائعة .

تابعتها الطبيبة ببصرها ، وهى تنصرف ، وقالت :

ـ إلى حد ما .

ثم اتجهت إلى فراش (أكرم) ، وتطلعت إلى الخطوط المنتظمة ، التى ترتسم على شاشات الأجهزة ، قبل أن تسأل الطبيب :

ـ أتظنه ينجو ؟

مط شفتيه ، وهز رأسه نفيًا فى صمت ، فألقت نظرة على وجه (أكرم) الوسيم ، وقالت :

ـ يا للخسارة !

ثم عادت تتطلع إلى الشاشات ، وقالت :

ـ أتظن أنه من الممكن استخدامه ؟

ردد فى حيرة :

ـ استخدامه فى ماذا ؟

أجابت دون أن تلتفت إليه :

ـ فى ذلك المشروع القديم .

ثم استدارت تواجهه ، مستطردة :

ـ مشروع (سيبورج)(*) .

رفع الطبيب حاجبيه فى ذعر ، وهتف :

ـ مستحيل !.. من يتحمل مسئولية عمل كهذا ؟

(*) مشروع (سيبورج) : مشروع حقيقى ، بدأ فى أواخر السبعينات ، ويتلخص فى تعويض أجزاء من الجسم البشرى ، بأجزاء صناعية قوية .

اعتدلت ، وتألقت عيناها فى جذل ، وهى تقول :

ـ أنا .

ولم يجد لديه جوابًا لهذا ..

* * *

فجأة استيقظ (رمزى) ..

استعاد وعيه على نحو مباغت ، فانتفض جسده فى شدة ، ثم فتح عينيه دفعة واحدة وحدّق فى وجه (فان) لحظة ، فى دهشة شديدة قبل أن يغمغم :

ـ أهى الجنة ؟!

ابتسم (فان) ابتسامته العذبة الرقيقة ، وهو يقول بنبراته الموسيقية الناعمة :

ـ الجنة أروع من هذا ملايين المرات يا صديقى ، فكل ما تراه حولك من صنع مخلوقات ضعيفة ، أما الجنة فهى صنيعة الخالق (عزّ وجلّ) .

هتف (رمزى) :

(فان) !.. يا إلهى !.. إنه أنت بالطبع .. كيف التقينا مرة ثانية ؟

أجابه (فان) فى رقة :

ـ لقد أنقذتك حملة من حملاتنا ، فى اللحظة الأخيرة .

ثم روى له القصة كلها ، فهتف (رمزى) مبهورًا :

ـ رباه !.. هذا أشبه بالروايات .. إذن فقد أنقذتنا حملتكم أنا و (نور) ، ولكن كيف أمكنكم إنقاذى ، بعد أن تحطّمت خوذتى ؟!.. المفروض أن تعرضى للانخفاض المفاجئ فى الضغط ، سيجعل ضغط جسدى الداخلى ، يفوق الضغط الخارجى

عدة مرات ، مما يتسبب حتمًا فى أن تنفجر رئتى ، ويتدفق الدم من كل فتحات جسدى ، ثم ينفجر الجسد نفسه ، ويتمزّق إربًا .

ربّت (فان) على جبينه ، وقال :

ـ من حسن طالعك أن هذا لم يحدث ، فزى الفضاء ، الذى كنت ترتديه ، مزوّد بنظام دفاعى إزاء هذا ، وفور تحطّم الخوذة ، يحيط غلاف واق بالرأس ، ليمنع الانخفاض المفاجئ للضغط ، ولكن فى حالتك لم يحتمل هذا الغلاف طويلًا ، وكدت تلقى مصرعك بالفعل ، لولا أن نجح قائد فريقنا فى إحاطتك كلك بهالة خاصة ، تحفظ ضغط جسدك وتقيك الموت ، حتى يتم نقلك إلى هنا ، وإسعافك .

سأله (رمزى) فى لهفة :

ـ و (نور) .. أين هو الآن ؟

صمت (فان) لحظة ، ثم قال فى خفوت :

ـ على السطح .. فى سجن القمر .

سأله فى دهشة :

ـ وماذا يفعل وحده هناك ؟

رفع (فان) رأسه إلى أعلى ، وقال :

ـ يقاوم .. يقاوم الشر .

وصمت لحظة أخرى ، ثم تابع :

ـ الشر البشرى ..

* * *

قفز (ميرفى) داخل الحجرة ، فى نهاية الممر ، وصوّب مسدسه الليزرى إلى (نور) ، وهو يهتف :

- خسرت أيها المصرى .

كان مستعدًا لإطلاق أشعة مسدسه ، على رأس (نور) مباشرة ، إلا أنه تجمّد فى مكانه ، عندما وقع بصره على (نور) ، وهتف :

- يا للشيطان !.. ما هذا بالضبط ؟

كان (نور) ملتصقًا بالحائط ، وقد ثبت زيه الفضائى بسلسلة ضخمة ، تنتهى بمغناطيس كهربى قوى ، إلى جدار الحجرة ، وأمسك ذراعًا معدنية ، تتصل بصندوق صغير ..

وفى هدوء عجيب ، قال (نور) :

- ألا تعلم ما هذا يا عبقرى العباقرة ؟

وفجأة تحرّك باب الحجرة ، وأغلق فى عنف ، فانتفض جسد (ميرفى) لحظة ، وصاح فى عصبية :

- أى عبث شيطانى هذا ؟

أجابه (نور) :

- حتى لو كان عبثًا ، فهو ليس شيطانيًا بالتأكيد أيها الوغد .. كل ماحدث هو أننا أصبحنا معًا ، داخل هذه الحجرة المغلقة .

صرخ (ميرفى) ، وهو يرفع مسدسه إلى رأس (نور) :

- وهل يمنعنى هذا من قتلك ؟

شدّد (نور) قبضته ، على الذراع المعدنية الصغيرة ، وهو يقول :

- افعل أيها العبقرى .. لاتتردّد .

التقى حاجبا (ميرفى) فى شدة وتوتر ، وارتسم مزيج من

الشك والحذر على وجهه ، وهو يدير عينيه فى المكان ثم لم يلبث الذعر أن ارتسم على ملامحه ، وهو يهتف :

- لا .. لا .. افتح الحجرة .. اخرجنى من هنا .

أجابه (نور) :

- مستحيل .. لقد أفسدت رتاج الحجرة ، ولن يمكنك فتحها قط .. ولقد أدركت طبيعتها بالتأكيد .. إنها حجرة معادلة الضغط أيها الأمريكى ، التى كان يستخدمها حراس سجن القمر ، عندما يريدون الخروج إلى سطح القمر .. أتعلم كيف يخفضون الضغط فيها ؟.. إنهم يستخدمون هذه الذراع المعدنية .

صاح (ميرفى) ، ووجهه يتصبّب عرقًا :

- لا .. لاتخفضها .. اسمع أيها الرائد .. يمكننا أن نعقد اتفاقًا .

قال (نور) فى صرامة :

- أرواح الآلاف من ضحاياك ترفض عقد أية اتفاقات أيها الوغد .. إنها تطالب بالقصاص .. بالقصاص العادل .

صرخ (ميرفى) :

- سأقتلك .. سأقتلك لو حاولت .

قال (نور) فى صرامة :

- افعل إذن .. وأظنك تعلم الآن سر ارتدائى ذلك الزى الفضائى .

كان (ميرفى) يعلم أن يد (نور) ، الممسكة بالذراع المعدنية ، ستنخفض حتمًا ، عندما يصاب ، وينفتح الباب الخارجى لحجرة معادلة الضغط ، و ...

وفى انهيار ، خفض (ميرفى) مسدسه ، هاتفًا :

ـ لا .. لا تقتلنى .. إننى أنتظر استسلام الأرض .. بعد ثمان دقائق فحسب ، سيسحق مدفع الليزر مقار الرياسة الخمسة ، وستستسلم الأرض بعدها حتمًا .. أنا سأصبح أول إمبراطور ، يحكم كوكبًا بأكمله ..

ثم ازدرد لعابه ، وتابع :

ـ اسمع .. سنقتسم حكم الأرض معًا .. ما رأيك ؟

أجابه (نور) فى صرامة :

ـ لا داعى للمساومة أيها الوغد .. إنك لم تتردد فى سحق الشيوخ والنساء والأطفال ، دون رحمة أو شفقة ، والآن جاءت لحظة القصاص وحانت .. إنك ستدفع الثمن بالعملة نفسها .

اتسعت عينا (ميرفى) ، وصرخ ، وهو يرفع مسدسه نحو (نور) :

ـ أنت أيضًا ستدفع الثمن .

ولكن (نور) حسم الأمر ..

وجذب الذراع المعدنية فى قوة ..

وانفتح باب حجرة معادلة الضغط بغتة ، قبل أن يتم التعادل ..

ودوت فرقعة عنيفة داخل الحجرة ..

واندفع جسد (ميرفى) خارجها كقذيفة مدفع ..

وفى سماء القمر دوى انفجار صامت صغير ..

انفجار جسد بشرى ..

جسد الامبراطور ..

★ ★ ★

ودوت فرقعة عنيفة داخل الحجرة :
واندفع جسد (ميرفى) خارجها كقذيفة مدفع ..

١١ ـ وانتهى الطاغية ..

مضت ثوان معدودة، قبل أن يتعادل الضغط داخل الحجرة، مع الضغط البالغ الانخفاض، على سطح القمر، ولكن هذه الثوانى بدت لـ (نور) أشبه بدهر كامل ..

لقد شعر بالانخفاض المباغت العنيف فى الضغط، الذى كاد ينتزعه من مكانه، ويقذف به خارج الحجرة، لولا المغناطيس القوى الذى يثبته بالجدار ..

ورأى جسد (ميرفى)، وهو يُنتزع من مكانه، ويندفع خارج الحجرة إلى سماء القمر، دون زى فضائى واق ..

وشاهده ينفجر ..

وكان المشهد بشعًا، رهيبًا ..

وبالذات بالنسبة لرجل مثل (نور)، يبغض العنف والقتل والتدمير ..

ولكنه كان مضطرًا لقتل (ميرفى) ..

لم تكن لديه ـ للأسف ـ وسيلة أخرى ..

إنه لا يحمل سلاحًا، ولا يملك وسيلة أخرى، للتصدِّى لذلك الامبراطور المجنون، الذى يسعى للسيطرة على الأرض، وسلبها حريتها مرة أخرى ..

وفى أعماقه ولدت مرارة هائلة ..

ولكنها لم تمتزج أبدًا بالندم ..

وفجأة تذكَّر المأساة ..

إن مقار رياسة خمس دول، معرَّضة للدمار، بعد أربع دقائق فحسب ..

وفى سرعة، ضغط (نور) أزرار السلسلة المغناطيسية، ليحرِّر نفسه من الجدار، ثم تحرَّك نحو الباب المفتوح، وانتقل إلى سطح القمر، وراح يسير بأقصى سرعة، تسمح بها جاذبية القمر، نحو أقرب حجرة معادلة ضغط أخرى ..

وبعد دقيقة ونصف، عثر (نور) على باب الحجرة الثانية، وضغط أزراره، وانتظر حتى انفتح الباب، ثم قفز داخل الحجرة، وضغط أزرار إغلاقها، وتعادل الضغط داخلها، مع الضغط المعتدل، تحت قبة السجن ..

وعندما غادر (نور) حجرة معادلة الضغط، إلى مقر الحراسة، لم يكن لديه سوى دقيقة إلا بضع ثوان ليبلغ مقر القيادة، ويوقف برنامج التدمير ..

وبكل ما يملك من قوة، انطلق (نور) يعدو ..

لم يكن الزى الفضائى يعاونه على العدو، إلا أنه لم يكن هناك وقت لخلعه، أو التخلُّص منه ..

وراحت الثوانى تعدو بأسرع منه ..

والوقت يضيع كالصاروخ ..

وعندما بلغ حجرة القيادة، كان يمتلك سبع ثوان فحسب ..

وكان الباب مغلقًا ..

ودفع (نور) الباب بكتفه مرة ..

وثانية ..

وثالثة ..

والثوانى تمضى أسرع ..

ثانية .. وثانية .. وثانية ..

وتحطم رتاج الباب، بعد مرور ثلاث ثوان ..

واندفع (نور) نحو أزرار الليزر، وحاول البحث عن الزر المسئول عن منع الإطلاق ..

وخسر ثانية أخرى .. وأخرى ..

وبقيت ثانيتان، ويبدأ الهجوم ..

وهنا رفع (نور) أحد المقاعد، وهوى به على أزرار التحكم كلها ..

ودوى انفجار مكتوم ..

وتوقف البرنامج، قبل ثانية واحدة من الهجوم ..

ثانية واحدة أفسدت خطة (ميرفى) ..

وأنقذت الأرض .

* * *

خيم صمت ثقيل سخيف، على قاعة المؤتمرات، التى اجتمع فيها مندوبو دول العالم، وراح الجميع يتطلع بعضهم إلى البعض الآخر قبل أن يقول مندوب الصين فى قلق :

ـ هل سننتظر هكذا إلى الأبد ؟

رفع المندوب الأمريكى كفه، وقال فى سخط :

ـ لن أشارك بالرأى، فالجميع يتهموننى بالتحيز .

تجاهل الجميع ما يرمى إليه، وقال المندوب البريطانى :

ـ ماذا تقترح يا مندوب الصين ؟

لوح مندوب الصين بكفيه، وقال :

ـ لمَ لا نعلن الاستسلام ؟.. أعلم أنكم ستستنكرون قولى هذا، ولكن دعونا ندرس الأمور بالعقل والحكمة .. إننا لن نخسر شيئًا بإعلان الاستسلام، فإما يقينا هذا من ضربة ساحقة قادمة، أو لا يساوى شيئًا، إذا ما كان ذلك المصرى قد نجح فى مهمته، وقضى على الإمبراطور .

قال القائد المصرى :

ـ سنخسر كرامتنا على الأقل .

هز الصينى رأسه، وقال :

ـ إننا نتحدث عن خسائر الأرواح والممتلكات أيها الزميل .

تدخل المندوب الفرنسى، قائلًا :

ـ إننى أوافق على رأى الزميل الصينى .

قال مندوب (إيطاليا) :

ـ وأنا أيضًا .

أبدى عدد كبير من المندوبين استعدادهم، لإعلان وثيقة الاستسلام، فابتسم المندوب الأمريكى، وقال :

ـ من حسن الحظ أننى لم أتدخل فى هذا .

تنهد القائد المصرى فى سخط، وأشاح بوجهه رافضًا، فى حين نهض المندوب السوفييتى، قائلًا :

ـ حسنًا أيها السادة .. إنها موافقة شبه إجماعية .. سنعلن استسلامنا للإمبراطور الجديد على الفور .

دخل ـ فى هذه اللحظة ـ أحد رجال الأمن إلى القاعة، وناول المندوب المصرى برقية طويلة، قرأها الرجل فى سرعة، وتألقت

عيناه فى سعادة ، وهو يهب من مقعده ، قائلاً :
ـ مهلاً أيها السادة .
التفت الجميع إليه ، فتابع فى انفعال :
ـ وصلتنى الآن برقية عاجلة ، من مقر قيادة المخابرات العلمية المصرية .. ويسعدنى أن أخبركم بما تحويه ..
وتألقت عيناه ببريق النصر ، وهو يضيف :
ـ لقد ربح رجلنا المعركة .
سرت همهمة شديدة فى القاعة ، واتسعت عينا المندوب الأمريكى فى دهشة ، فى حين تابع القائد مزهوًا :
ـ الرائد (نور الدين محمود) نجح فى هزيمة ذلك الإمبراطور المجنون ، وتدميره ، ونجا مع زميله (رمزى) ، واستعادا حقيبة مكعبات الكمبيوتر .
تعالت أصوات الهتاف والسعادة ، واندفع الجميع يصافحون القائد فى حرارة ، وهم لايصدقون أنهم قد نجوا من تلك المحنة ، وأن الأرض لم تعد مضطرة للاستسلام إلى إمبراطور سادى مجنون ، فيما عدا المندوب الأمريكى ، الذى بدا ممتقعًا شاحبًا ، وهو يتطلع إلى المندوب المصرى فى مرارة ..
لقد انتصر المصريون فى هذه القضية أيضًا ..
ولم تعد (أمريكا) هى أقوى الدول ..
ولم يعد الأمريكيون هم سادة العالم ..
لقد بدأ العالم الجديد يتشكل ..
وسمع المندوب السوفيتى يقول فى حذر :

ـ أيعنى هذا أنكم تسيطرون الآن على العالم أيها المصرى ؟
أجابه القائد فى سعادة :
ـ (مصر) لم ولن تسعى أبدًا للسيطرة يا رجل .. إننا شعب حر ، سيدافع أبد الدهر عن حرية واستقلال الشعوب .
قال المندوب البريطانى :
ـ ولكنكم تمتلكون حقيبة المكعبات ، وهى تحوى كل تاريخ وعلوم وفنون الأرض .
ابتسم القائد ، وقال :
ـ مطلقًا .. لقد عثر الرائد (نور) على جهاز كمبيوتر ، يصلح لاستخدام المكعبات ، وأوصله بجهاز بث خاص ، وفى هذه اللحظة بالذات يتمّ بث كل المعلومات ، التى تحويها مكعبات الكمبيوتر ، من القمر إلى الأرض ، بحيث يتم نسخها فى مقر المخابرات العلمية المصرية ، وصنع نسخة من كل مكعب ، على هيئة مجموعة اسطوانات ميكروكمبيوتر ، لتوزيعها على كل دول العالم .
واعتدل فى وقفته ، مستطردًا فى ارتياح :
ـ ألم أقل لكم إننا نؤمن بالحرية أيها السادة ؟. الحرية التى تقول : إن التاريخ والعلوم والفنون من حق الجميع .
غمغم المندوب الأمريكى ، محدثًا نفسه :
ـ يا للحماقة !
ثم رفع صوته ، مستطردًا :
ـ ما يزال هناك سؤالان ، لم يخبرنا أحد جوابهما بعد .
التفت إليه المندوب المصرى ، قائلاً :

ـ ما هما ؟

سأله فى توتر ملحوظ :

ـ ما مصير الأسلحة العتيدة ، على سطح القمر ؟.. وكيف يمكن لرجليك العودة من هناك إلى الأرض ؟

صمت المندوب المصرى لحظة ، ثم أجاب :

ـ بالنسبة للسؤال الثانى ، أجيبك بأن العودة ستكون أكثر سهولة من الذهاب ؛ لأن (نور) و (رمزى) سيجدان حتمًا سفن فضاء صغيرة ، صالحة للعمل ، فى سجن القمر .. أما بالنسبة للسؤال الأول ، فلست أدرى ماذا سيحدث بالضبط .. صدقنى .. لست أعلم شيئًا قط ..

* * *

« سندمرها كلها .. » .

قال (فان) الكلمة فى خفوت ، وهو يتوقع اعتراضًا عنيفًا من (نور) ، ولكنه فوجئ بهذا الأخير يقول :

ـ نعم .. هذا أفضل .

صاح (رمزى) فى دهشة :

ـ ماذا تقول يا (نور) ؟.. كيف تسمح لهم بتدمير كل هذا المخزون من الأسلحة ؟!.. ألا تعلم أن هذا القدر يمكنه أن يجعل (مصر) أعظم دول العالم ؟

تنهد (نور) ، وقال :

ـ أعلم هذا يا صديقى ، وأعلم أيضًا أن امتلاك السلاح يوغر صدر صاحبه ، ويغريه بالاعتداء على الآخرين ، ومحاولة فرض سيطرته عليهم ، وهذا ما أخشاه .

صاح (رمزى) :

ـ ليس من حقك اتخاذ قرار فى هذا الشأن يا (نور) .

غمغم (نور) :

ـ حقًا ؟!

هتف (رمزى) :

ـ بالطبع يا (نور) .. إنك جندى مصرى ، مهما بلغت رتبتك ، أو بلغ موقعك ، وليس من حقك التخلى عن كل هذه الأسلحة ، دون أن تستشير رؤساءك .

تنهد (نور) فى صمت ، وقال (فان) برقته المتناهية ، وصوته الموسيقى العذب :

ـ وما الذى ستفعله الأسلحة يا صديقى ؟.. إنها فقط ستسبب الخراب والدمار ، وتقتل العشرات بلا تمييز .

قال (رمزى) فى حدة :

ـ وتحمى الوطن .

سأله (نور) بغتة :

ـ ممن ؟!

هتف :

ـ من الأعداء .

ابتسم (نور) ابتسامة باهتة ، وقال :

ـ حتى الأعداء لايمتلكون مثل هذه الأسلحة .

تطلع إليه (رمزى) فى حدة ، ثم قال فى عصبية :

ـ اسمع يا (نور) .. أنا أفهم جيدًا لماذا تفعل هذا ؟

سأله (نور) فى خفوت :

ـ لماذا ؟

أجابه متوترًا :

ـ لأنك قتلت (ميرفى) .. أقصد اضطررت لقتله ، وأنت الذى يكره القتل والدمار ، ويبغضهما أشد البغض .. إنك تشعر بتأنيب الضمير ، لأنك فعلت هذا ، وتحاول إخماد صوت ضميرك ، بتدمير تلك الأسلحة .. أليس كذلك ؟

بدت ابتسامة (نور) شاحبة ، وهو يقول :

ـ أنت خبير نفسى رائع بحق يا صديقى .

ثم اعتدل مستطردًا :

ـ ولكنك أخطأت فى أمر واحد .

سأله (رمزى) :

ـ ما هو ؟

أجابه فى صوت خافت :

ـ لست أنا من يرغب فى تدمير الأسلحة .

هتف (رمزى) غاضبًا :

ـ هل تتلاعب بى يا (نور) ؟

أجابه (فان) :

ـ بل هو صادق تمامًا يا صديقى .. نحن الذين قرّرنا تدمير كل الأسلحة ، التى تحتفظون بها فى سجن القمر .

هتف (رمزى) محنقًا :

ـ لماذا ؟

أجابه فى رقة وهدوء :

ـ حفاظًا على أمننا وسلامة شعبنا .

سأله (رمزى) فى حدة :

ـ وما شأن شعبكم بأسلحتنا ؟.. إنها هنا منذ عدة سنوات ، فلماذا شعرتم بخطورتها الآن ؟

أجابه فى دعة :

ـ بسبب ما حدث .. لقد نجح شخص ما فى الوصول إلى هنا ، والتحكم فى كل هذه الأسلحة ، فماذا لو وصل شخص آخر ، وأخطأ فى التعامل معها ، فانفجر مخزن الأسلحة والذخائر مثلًا ؟!

بدت الفكرة مخيفة ، بالنسبة لـ (رمزى) ، فتمتم مأخوذًا :

ـ قد ينفجر القمر كله .

ابتسم (فان) ، وقال :

ـ أرأيت ؟

لم يحر (رمزى) جوابًا هذه المرة ، فوقف صامتًا ساكنًا ، حتى ربّت (نور) على كتفه ، قائلًا بابتسامة هادئة :

ـ هيا يا صديقى .. لقد انتهت مهمتنا هنا ، وحان وقت عودتنا إلى كوكبنا ، فهناك من ينتظرنا هناك .

ثم غمز بعينه ، مستطردًا :

ـ وبشوق .

ارتبك (رمزى)، وبدا خجلا متوترا، وهو يقول :
ـ (نور) .. بشأن ابنتك (تشوكى)، فالأمر ...
قاطعه (نور) :
ـ فيما بعد يا صديقى .. فيما بعد .. هيا بنا الآن، فلقد أعد أصدقاؤنا سفينة العودة .
ودعهما (فان) فى أسف، وهو يقول :
ـ لست أدرى إذا ما كنا سنلتقى مرة أخرى أم لا، ولكننى أذكركما بوعدكما السابق، بضرورة الحفاظ على سر وجود شعبنا المسالم .
صافحه (نور) فى صدق وحرارة، وهو يقول :
ـ لك هذا .
خفق جناحاه فى سعادة وارتياح، وهو يودعهما، وارتسمت على شفتيه ابتسامة وداع عذبة عندما انطلقت بهما سفينة الفضاء الصغيرة، عائدة إلى الأرض ..
لقد انتهت المهمة، وزال الخطر، واستعادت الأرض تاريخها وعلومها وفنونها ..
وبدأ عصر جديد ..
عصر الأمل .

[تمت بحمد الله]

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

المؤلف

د. نبيل فاروق

الإمبراطور

- هل يضيع (نور) و (رمزى) إلى الأبد ، فى غياهب الفضاء ؟
- ماذا يفعل العالم ، عندما يعلن (ميرل) نفسه إمبراطورًا للأرض ؟
- تُرى هل تستسلم الأرض مرة أخرى لاحتلال جديد ، أم يسقط (الإمبراطور) ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة .. وقاتل مع (نور) وفريقه ، من أجل الحرية ...

٨٦

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

العدد القادم : نصف آلى